العلامة
سيدي محمد المختار السوسي
وكتابة التاريخ الوطني

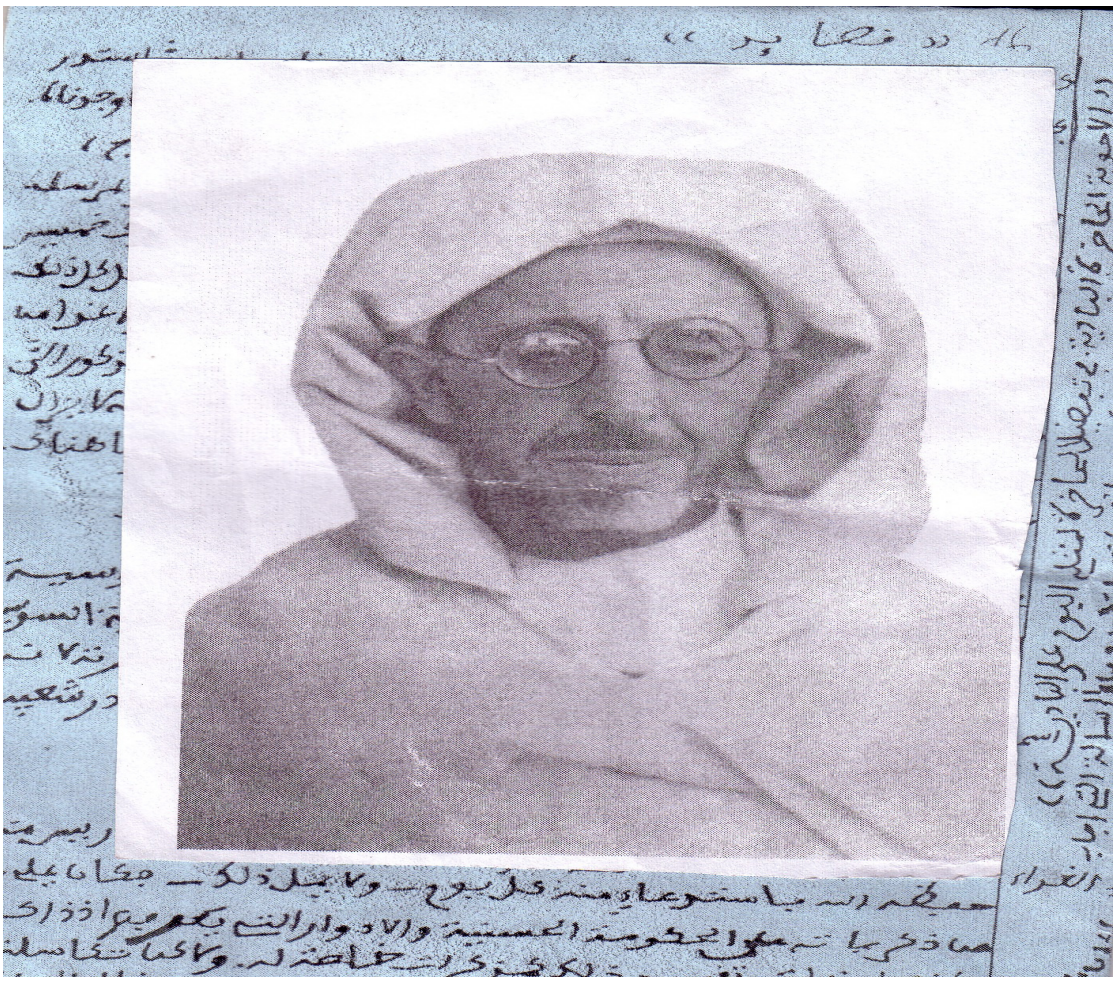

إنجاز : د. خالد صقلي

شعبة التاريخ

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

ظهر المهراز . فاس

جامعة سيدي محمد بن عبد الله

مقدمة تعريفية: افتتح مداخلتي ببسم الله الرحمن الرحيم وأصلى وأسلم على سيدنا محمد خير المرسلين.

ضمن اهتماماتي العلمية تحقيق مخطوطات المؤرخين المغاربة الذين عاشوا خلال العصر الحديث و المعاصر. وبالنسبة لموضوع دراســـــتي فيتعلق بالعلامة سيدي محمد المختار السوسي الذي هو بشهادة الذين عاصروه أو تتلمذوا عليه أو درسوا آثاره، شخصية استثنائية في تاريخ المغرب المعاصر. إذ ترك تراثا فقهيا وأدبيا وتاريخيا ضخما، تعجز عن إنتاجه فرق متخصصة ومتفرغة ....([1]). وإن شخصا كالعلامة محمد المختار السوسي رحمه الله، ليستحق بامتياز كبير تخليد فكره وأعماله على صفحات سجل التاريخ المغربي، لما له من إسهام جبار في بعث روح الاعتزاز بالهوية المغربية ابتغاء التفاعل الراشد مع الحاضر المعيش لاستشراف المستقبل القادم بنفس تواقة إلى الأمل و الحرية([2]). وإن محتوى هذا العرض هو مجرد نظرات في شخصيته ومؤلفاته، ومساهمة مني في رسم صورة مختصرة عن شخصيته المعطاءة التي لا يسعها إلا الأبحاث الكثيرة للمفكرين و المتخصصين، لتخرج إلى الساحة الثقافية عبارة عن مؤلفات وبحوث تنور عقل الجيل الجديد بما وصل إليه النبوغ المغربي في مرحلة من المراحل، ليشكل دعامة أساسية في الإقلاع الحضاري لأمتنا.

وتشتمل هذه الدراسة على محورين: فمن جهة سنتطرق الى التعريف بالعلامة سيدي محمد المختار السوسي، ومن جهة ثانية سنتحدث عن إنتاجه الفكري مع التركيز على جوانب من كتابته التاريخ الوطني خصوصا ، ويشتمل هذا العرض على عدة ملاحق الكترونية.

المحور الاول : ترجمة العلامة سيدي محمد المختار السوسي:

قيل للعلامة سيدي محمد المختار السوسي يوما: "**ترجمت لكل عالم و فاضل في إقليم سوس، و لكنك أغفلت نفسك، و لماذا لم تضع لحياتك ترجمة؟" أجاب الأستاذ على الفور: "هذا العمل كله إنما هو ترجمة نفسي و قصة حياتي**"([3]). وهذه الجمل ذات مدلول كبير، لان العمل يدل على صاحبه أكثر مما يدل على موضوعه و يعطيك صورة المنتج قبل أن يعطيك صور الآخرين، فحسب الأستاذ محمد العثماني فكثير من أصحاب العظمة التاريخية لا نتصورهم على الحقيقة إلا بواسطة أعمالهم وآثارهم،لا بما قال عنهم المؤرخون والناقدون الذين يقعون في الغالب تحت تأثير ظروف خاصة و مواضع اجتماعية معينة، فكم تاريخ مصطنع قلب الحقائق و دلس

---

[1]) سعد الدين العثماني، مقال:"المنهج الإصلاحي عند محمد المختار السوسي"، ندوة الذاكرة والمسار،21 ماي 2011، تنظيم جمعية الوفاء لبناء ورعاية متحف المختار السوسي ،تزنيت.

[2]) مصطفى بوكرن، مقال:" ملامح بارزة من شخصية العلامة سيدي المختار السوسي"،مدونة الوعي المغربي،19 ماي 2006،

[3]) نقلا عن عبد الصمد بلكبير، مقال: "أربعة دروس عن الحركة السلفية "، مجلة الثقافة الجديدة،البيضاء، السنة 5، 1401هـ/1981م، ع:22، ص:120.

على الواقع و كم حمد أو ذم كان مبعثهما الهوى و التعصب، أما عمل الآنيان فلا يعكس – في غير ارتياب واحتمال – الأنفس صاحبه، ثم يعكس في الدرجة الثانية بعض الجوانب لشخصيات من تناولهم ذلك العمل مع شيء قليل من أو كثير من الشك و ضعف الاطمئنان، فلو صح كل ما كتب حول الحوادث و الناس لا نقطع كل جدال، و لفقد النقد لحركته أفسح مجال([4]).

1: ولادته ونشأته: ينتسب إلى الجد الأعلى عبد الله بن سعيد التهالي ([5]). وولد محمد المختار السوسي ([6]) بقرية دوكادير "إلغ"([7]) الواقعة على بعد 174 كلم وهي قرية بناحية تازروالت في أقصى جنوب القطر السوسي

---

[4]) محمد العثماني، مقال : المختار السوسي شاعرا وعالما ومؤرخا، مجلة الكلمة من إصدار جمعية علماء سوس ،العدد 1 ،السنة 1، محرم 1391هـ/فبراير 1971م، ص. 15-19.

[5]) هو الولي الصالح سيدي عبد الله بن سعيد التهالي، والذي كان شيخا صوفيا، قضى جل حياته في الدعوة إلى الأمور الدينية، وتوجيه الأهالي السوسية فيدعوهم إلى التمسك بالمبادئ الدينية، وينهاهم عن الفحش والمنكر وكل أسباب اللهو واللعب، ومن هنا نستشف اهتمامهم القوي بالدين فعمل الجد الأعلى و أبناؤه و أحفاده على صيانته والحفاظ عليه، ودعوة الناس إلى التمسك به، فأسس في هذا النطاق عدة زوايا كانت قبلة للصوفيين والمريدين "ليأخذوا عنه أوراد الطريقة الدرقاوية" توفي بعد سنة 1051هـ، و انظر محمد المختار السوسي،"المعسول"،ج1، ص:80-116، مطبعة الشمال الإفريقي – الرباط،1380هـ/1960م. – مقال:"محمد المختار السوسي دراسة لشخصيته وشعره"،محمد خليل،مؤسسة النشر والطباعة ط1،البيضاء،1985،ص59.

[6]) وقد اختار له جده لامه اسم محمد ولكن لما أخبره الوالد بان له ولدا قبل هذا يحمل هذا الاسم أمر أن يضاف إلى هذا الوصف المختار ليتميز عن الأول فكان محمد المختار"،وانظر: – إيليغ قديما وحديثا هيأة للطبع وعلق عليه محمد بن عبد الله الروداني المطبعة الملكية بالرباط 1966.– الأعلام ،لخير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين، ط15،ج7،2002.

وللاشارة فقط فمن بين اخوان العلامة المختار السوسي رحمه الله العلامة إبراهيم بن الحاج علي الدرقاوي الإلغي شيخ مشايخ المعاهد الدينية بشمال المغرب، علاَّمة المحققين رائد المؤرخين، الأديب والشاعر الرائد والموجه...وحل بمدينة تطوان منذ تأسيس المعهد الخليفي بها، وتزوج بامرأة من أشهر بيوتات مدينة تطوان، أسرة اللوه، وتولى بها أسمى المناصب التعليمية. ولد عام 1329هـ موافق 1911م ببلدة إلغ من أعمال تارودانت بالسوس الأقصى، حفظ القرآن الكريم والمتون في كتاب بلده، شد الرحيل لطلب العلم فدرس المبادئ على بعض علماء سوس ومراكش، ثم التحق بفاس فانقطع فيها للدورس والتحصيل على مشايخها الأعلام نحو ست سنوات على نظامها القديم، ثم حل بالرباط فلازم مجالس علمائها الكبار نحو ثلاث سنوات .وأشهر مشايخه شقيقه الأكبر العلامة الشهير المرحوم المختار السوسي وابن عمه السيد محمد بن أحمد البلغيثي، ومولاي عبدالله الفضيلي،و أحمد الجلالي،والحسين العراقي،وعبدالواحد بن عبد الرحمن القرشي، و بوشعيب الدكالي، والسايح الرباطي، والمكي البطاوري، و محمد بن العربي العلوي، و عبد الواحد بن الموازر، و العباس بناني، و محمد أقصبي، وقد أجازه هؤلاء شفاها وكتابة...ومن إنتاجاته الأدبية كما يروي الشيخ نفسه :مجموعة مقالات أدبية ومحاضرات الأولى في نحو خمسمائة صفحة والثانية بلغت نحو أربعمائة صفحة نشر معظمها و ديوان شعر في نحو ستة آلاف بيت، نشر بعضه، ومجموعة أقاصيص .وتاريخ الأدب العربي في أربعة أجزاء، وكتاب «الإسلام» في أربعة أجزاء كذلك .للمدارس الثانوية. م. المهدية 1373هـ . 1953م. ومذكرات الدين الحنيف في أربعة أجزاء، وهو مطبوع .ووكتاب قواعد النحو والصرف والبلاغة،في أربعة أجزاء .ووأشهر عباقرة الإسبان، وهو مترجم عن الإسبانية .وكتابه «سبتة المسلمة» وتعليقات

على كتاب العمدة لابن رشيق .ويعتبر الشيخ إبراهيم بن علي الإلغي مع زمرة من مجايليه من قبيل الشيخ محمد بن أحمد داود، والشيخ العلامة التهامي الوزاني، من أعمدة ورواد النهضة العلمية والأدبية في منطقة الشمال منذ بداية العقد الرابع من القرن العشرين .وكان هذا الشيخ الجليل من الأدباء والشعراء الذين كانوا ضمن الوفد المرافق لخليفة السلطان مولاي الحسن بن المهدي لاستقبال جلالة الملك المغفور له سيدي محمد بن يوسف، في 18 جمادى الأولى الموافق تاسع أبريل 1947م أثناء زيارة جلالة الملك محمد الخامس لمدينة أصيلة، قبل أن يحل في زيارته التاريخية بمدينة طنجة. فأثناء فترة استراحة جلالته في السرادق الملكي بأصيلا، أبى الخليفة إلا أن يقدم هذا الشيخ ليلقي بين يدي جلالته قصيدة شعرية عصماء أشاد فيها الشيخ الشاعر بمناقب وسجايا وأعمال وأهداف جلالة الملك محمد الخامس ملك الوحدة والحرية والاستقلال .وقد توفي في الرباط صبيحة يوم الخميس ثاني صفر الخير عام 1406هـ . الموافق 17 أكتوبر 1985م. ودفن في مقبرة الشهداء ، وقد احتفى بتأبينه جمع غفير من أصدقائه وتلامذته بكل من الرباط وتطوان،وقد أنجز الأستاذ محمد علالي حول الشيخ إبراهيم الإلغي، رسالة جامعية قيمة لنيل شهادة الدراسات العليا، تحت عنوان: «الأستاذ إبراهيم الإلغي، حياته وشعره» في نحوي 660 :صفحة، تحت إشراف الدكتور عباس الجيراري.وانظر:مقال مشاهير علماء المعاهد الدينية بمدن الشمال، عبد الرحيم احمد الجباري،جريدة الشمال العدد633،

http://ashamal.info/index.php?option=com_content&task=view&id=227&Itemid=58

وقد وقفت على قبره قرب قبر أخيه العلامة سيدي المختار السوسي ، وقد نقش برخامة شاهد قبره مانصه:" بسم الله الرحمان الرحيم ياأيتها النفس المطمئنة إرجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي، هنا يرقد جثمان العالم الجليل والشاعر الأديب القاضي الاستاذ رضى الله ابراهيم بن الولي الصالح سيدي علي الدرقاوي الالغي الذي لبى دعاء ربه صبيحة يوم الخميس 2 صفر الخير 1406 الموافق 17 اكتوبر 1985، بمنزله في الرباط رحمه الله برحمته وأسكنه فسيح جناته وإنا لله وإنا إليه راجعون".

[7]) يجب التمييز بين إليغ ILIGH وهي قرب تزروالت مدفن الشيخ سيدي احمد أو موسى وهي عاصمة الدولة السملالية بقيادة بودميعة، وهي محور كتاب "اليغ قديما وحديثا" للمختار السوسي، المطبعة الملكية- الرباط،1386هـ/1966م. و انظر : " إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين "، محمد بن الفاطمي السلمي،تقديم عبد الله كنون،مطبعة النجاح الجديد،البيضاء،1992، ص: 284. وبين إلغILIGH وهي قرب أيت وافقا ضمن منطقة تافراوت وكلتا القريتين تقعان ضمن إقليم تيزنيت. ومما كتبه عنها المختار السوسي في كتابه " إيليغ: قديما وحديثاً:"يقال إن سبب تأسيس مدينة إيليغ أن الأمير بودميعة كان يصطاد يوما في تلك الناحية فأعجبه المكان فاستخار الله فشرع في تأسيس دار فيه، ثم بدا له، فتوسع في المشروع وجعل المكان عاصمة إمارته، لأن ذلك الحصن الموجود في قمة الجبل لا يمكن أن يصار إليه من تازروالت بسهولة، ولا يتأتى ذلك إلا من جهة قبيلة "مجاط" فقط، وأما من غير هذه الجهة فالتسلق اليه من الجبال الشديدة الوعورة صعب، ثم إن ما كان يحفز أسلافه الى الانجحار في ذلك الحصن فرارا من العدو، ثم قرب المكان من مقر أسلافه بالزاوية،ثم اجتهد الأمير في إدارة السور على عاصمته وفتح لها أبوابا مختلفة وانتدب الناس الى سكناها كما فصل فيها أسواقا مصفوفة بالدكاكين وجعل لها أربعة أبواب وهي: باب العين وباب أزاغار وباب تالعينت وباب الملاحين، وقد ذاع أن الأمير فرض على سكان القبائل الارتحال الي عاصمته لتعمر بهم ولا يزال معروفا الى الآن في شرقي المدينة وغربها محل ينزل فيه الافرانيون والاعراب الصحراويون كما مال اليها التجار وغيرهم من أرباب الحرف، كما اتخذتها طائفة من اليهود مسكنا فاسسوا فيها كنيسة يؤدون فيها شعائر دينهم واسم إيليغ مشهور لمواطن متعددة من قرى سوس فهناك قرية إيليغ في قبيلة إداوزكري وأخرى في الفائجة إزاء تاتلت. وروى المختار السوسي أيضا أنه وجد وثيقة تهم تأسيس هذه

بجنوب مدينة اكادير وذلك في شهر صفر الخير عام 1318هـ/ ماي – يونيو 1900 م ونشأ بها، وحين بلغ سن الإدراك اتجه إلى الدراسة الأولية لتعلم الكتابة والقراءة واستظهار كتاب الله العزيز على عدة معلمين، وكانت أولهم والدته ([8]) رقية بنت محمد بن العربي الأدوزي([9]) و كانت لها دراية بمبادئ العلوم الدينية، فضلا عن تمكنها من

المدينة وفيها : وشرع في بناء ايليغ سنة 1021هـ وسكن فيه سنة 1031هـ – فعرفنا أن الامير صمد الى تأسيس عاصمته بمجرد ما بويع من الناس، ثم استمر البناء 10 سنين ثم اتخذها له ولحاشيته مسكنا، ولا ريب أنه لا يزال بعد ذلك يزيد في بناياتها وسترى في فصل ما بينه وبين الأوروبيين أنه كان يستخدم أسراهم في البناء.وقد زارها المختار السوسي سنة 1361هـ فقال عنها : رأيت شارعا من شوارعها يشقها من نحو الشرق وحواليه آثار دكاكين التجار لا تزال أسسها ظاهرة وفي هذا الشارع دار الأمير الواسعة وآثاره بارزة من بينها موضع حمام كبير وفيه أيضا المسجد الجامع غير بعيد عن الدار وهناك موضع السجن وهو سرداب محفور تحت الارض تذكرت حين وقفت عليه سجن البديع وسجن مكناس وباب هذا السجن لا زال مفتوحا ، وقد درت حول ما بقي من أساس السور فتراءى لي أن المدينة المسورة بهذا السور الذي نراه غير متسعة فهي دون مدينة الصويرة بكثير ولا تزال جدران صغيرة تقف بأسافل بعض ابراجها وهي دون القامة والسور مبني باللوح المركز، وبعض الابراج تسمى الصقالة فدل هذا الاسم على أن المدافع وضعت هناك، ويظهر لي أن هذا المسور إنما هو دار الأمير وحاشيته فقط وقد اخبرت أن الابنية اتسعت خارج هذا السور بكثير، ويصدق هذا الخبر وجود أطلال كثيرة ممتدة الى بعيد، فهناك المحل الذي يقطنه الافرانيون وكذلك المحل الذي كان فيه منازل الاعراب ومسكن اليهود يبتعد عن هذا المسور، فبذلك ندري أن كل ما تنتشر فيه اليوم قرية إيليغ الحديثة كان إذ ذاك مسكونا معدودا من المدينة أدير عليه سور آخر قد تهدم ايضا، وكثرة الجداول المندثرة ووجود أطلال منتشرة في خارج هذا المسور مما يقوي ما يذهب اليه الناس هناك".

[8]) توفيت في 1342/3/12هـ، وانظر ترجمة العلامة سيدي محمد المختار السوسي : "إسعاف الإخوان"، م.س،ص284-289.

وهي رقية بنت محمد بن العربي بن إبراهيم بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن يعقوب ولدت سنة 1301هـ،ربت السيدة رقية في بيت علم ودين، فقد حرص والدها العربي الأدوزى علامة منطقة جزولة في عصره، على تعليمها وتربيتها تربية تليق بأهل بيت الأدوزي، فأتقنت حفظ كتاب الله تعالى،ويخبرنا بذلك ابنها العلامة المختار السوسي في كتابه المعسول بقوله: "أخبرني أستاذها سيدي أحمد بن عبد الله الاجلالنى المجاطي، قال:" استدعاني الأستاذ سيدي محمد بن العربي، سنة 1310 هجرية من المدرسة الأدوزية، فأمرني أن ألازم داره، وأن أعتكف فيها على تعليم بناته وأولاده، فخرجت إلي والدتك في دراعة سوداء، وفى الرأس لوحتها،وقد كانت تتعلم قبل أن أتصل بها عند غيري ثم دأبت عندي حتى ختمت سبع ختمات، وجودت غاية التجويد، فعوّل والدها أن يدخل بها إلى طور العلوم، فإذا تزويجها جاء بغتة و ذلك عند مراهقتها، قال فحين أرادت أن تركب على البغلة جاءت حتى قبلت رأسي، فركبت ولوحتها معها، كرمز لكونها لا تزال تتعلم، وقد كان والدها قد ذكر ذلك لزوجها.ومما يحكيه العلامة السوسي عن والده أنه أنشد بعض الأبيات عقب توقيعه على عقد زواجه بالسيدة رقية:

جزاك إله العرش خير جزائه ** أيا شيخنا أوليت فوق المنى جرما
زففت لنا بنتين بنتا لفكركم ** وبنتا لصلبكم فذي نعمة عظمى
جمعت لنا الأختين في عقد واحد** فلم يكن ذاك في قضيتنا إثما

ولما وصلت السيدة رقية إلى إلغ، وصلتها من والدها أبيات يودعها بها:

فراق بنتي صعب ** على فؤادي جدا
لم أرض للدهر فعلا** ولم أطق له ردا

حفظ القرآن و كانت تمارس تعلم القراءة و الكتابة لصبيان الأسرة. وفي هذا الإطار يقول العلامة المختار السوسي:"**أول ما أعلنه عن والدتي أنها هي التي سمعت منها بادئ ذي بدء تمجيد العلم وأهله،وإكبار تلك الوجهة فكان كل مناها أن تراني يوما ما ممن تطلعوا الثنية، وممن يداعبون الأقلام ويناغون الدفاتر ،فبذلك كانت تناغيني وذلك هو محور دعواتها حولي...، في سحر يوم عاشوراء نحو 1323هـ يوم أيقظتني فناولتني كأسا مملوءة ماء فقالت:إن هذا الماء ماء زمزم الذي هو لما شرب له ، وهذا سحر يوم عظيم وهو مظنة الاستجابة ، فأجرع منه وانو في قلبك أن يرزقك الله العلم الذي أتمناه لك دائما، فأفرغت الماء في حلقي بنيتها هي التي تدري ما تطلب، وما تنوي إذ ذاك...**"([10]).

لكن مولاي ربي ** قضاؤه لن يردا

أفنى الفراق قلوبا ** لما رأت لك بعدا

لم أر عيبا وشينا ** أعده لك عدا

لذاك لم أرض صبرا** عنك رقية بدا

ودعتك الله ربي** يحفظ لي منك عهدا

من أين كنت فقلبي ** عني هنالك صدا

وقد أصبحت هي معلمة الدار، والمرشدة والواعظة للوافدات إلى زوجها الشيخ الدرقاوي، فقد كانت أول معلمة من النساء في إلغ، كما كانت تعلمهن قراءة الكتب الشلحية الموجودة بكثرة المشتملة على السير والأحاديث والقصص.كما كان لها دور كبير في تربية وتهذيب أبنائها، ولعل شهادة ابنها المختار السوسي خير دليل على ذلك حيث يقول : "أول ما أعلمه عن والدتي أنها هي التي سمعت منها بادئ ذي بدء تمجيد العلم وأهله، وأكبر تلك الوجهة، وكان كلّ مناها أن تراني يوما ممن تطلعوا من تلك الثنية، وممن يداعبون الأقلام، ويناغون الدفاتر.."، هكذا حرصت هذه السيدة الفذة على تحفيز ابنها لطلب العلم، كما ساعدته بالدعاء متحرية أوقات الاستجابة، لتتحقق في ابنها أمنيتها التي حرمت منها وهي التبحر الواسع في العلم والمعرفة. يقول" :أيقظتني يوما فناولتني كأسا مملوءة ماء، فقالت: أن هذا الماء ماء زمزم الذي هو لما شرب له، وهذا سحر يوم عظيم، وهو مظنة الاستجابة، فأجرع منه وأنوي في قلبك أن يرزقك الله العلم الذي أتمناه لك دائما."كما كانت لها رحمة الله عليها يد لا تعرف إلا أن تناول بيدها كل ما في متناولها كرما، وقد كان سيدي أبا بكر بن عمر يقول كنا نحن المتجردين، لا نجرأ أن نطلب ما نحتاج إليه إلا منها، لعلمنا بسماحها بكل ما تملك.هذه بعض من أخبار هذه السيدة العظيمة التي كان لها فضل كبير في إخراج علماء كبار كعلامة سوس محمد المختار السوسي، فكانت نعم البنت و الزوجة والأم، رضي الله عنها وأرضاها.توفيت السيدة رقية بنت العربي الأدوزي سنة 1342هجرية بتزنيت. وانظر: المعسول، المختار السوسي، الجزء الثاني، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1961- الصالحات المتبرك بهن في سوس"، حسن العبادي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الطبعة الأولى، 2004.

[9]) ترجم له العلامة سيدي المختار السوسي في كتابه المعسول، ج5، ص149-221

[10]) السيرة الذاتية للعلامة رضى الله محمد المختار السوسي مجريات أطوار حياته، إقتبسها مما كتبه والده عن أدوار حياته في كتبه ومخطوطاته، ابنه رضى، تقديم عبد الهادي التازي،مطبعة المعارف الجديدة،2009،ص28.

وبعد ذلك أتم حفظه على يد والده ([11]) . الذي التحق بالرفيق الأعلى و عُمُر المختار لا يتجاوز آنذاك 10 سنوات([12]) . وعلى يد بعض مريدي الزاوية الدرقاوية([13]) التي كانت بمثابة مدرسة علمية. إذن فتح المختار السوسي عينيه على عائلة صوفية علمية بامتياز([14]). ثم تنقل بين مدارس منطقة سوس كمدرسة إيغشان([15]) و تتلمذ بها على يد العلامة عبد الله بن أحمد الإلغي ثم التحق بالمدرسة البونعمانية[16]، و أخذ بها عن العلامة أحمد بن مسعود البونعمان في أواخر شهر ذي الحجة سنة 1331 هـ/نونبر 1913م ([17])، ثم توجه إلى مدرسة تانكرت بافران التي بها تتلمذ على يد العلامة الأديب الطاهر بن محمد الإفراني و نجله محمد و العلامة الأديب عبد الرحمان البوزاكاري و ظل بهذه المدرسة إلى أواخر سنة 1336 هـ /(1917-1918م). وقد أخذ عنهم اللغة و الفقه والفرائض و الحساب والأصول([18]).

لقد بدا الاهتمام التاريخي لدى محمد المختار السوسي منذ نعومة أظافره، كما صرح بذلك نفسه عندما قال : "**فقد أولعت منذ عرفت قبيلي من دبيري، وميزت يميني من شمالي، بالتاريخ والأدب، وبمطالعة كتبهما ... أقبلت بنهم الذي لا يشبع على التهام كل ما تقع عليه عيني كيفما كان الكتاب مادام يمت إلى الأدب والتاريخ**"([19]).

2: تعمقه في نهل العلوم ورحلاته لطلبه:

---

[11]) والده هو شيخ الزاوية الدرقاوية بالمنطقة وهو العلامة علي بن احمد الإلغي،وأسرة الإلغي عريقة في العلم والصلاح توالى فيها الرجال الصالحون والعلماء والحفاظ. فانبثق من حضن هذه الأسرة عدة علماء و نبغاء في شتى الميادين والمجالات، وعليه فقد كانت للأسرة السعيدية مكانة علمية ودينية، بالإضافة إلى أنها لها الحظوة الاجتماعية والسياسية لدى الملوك والسلاطين، إذ تقلدوا عدة مناصب مهمة في المجتمع المغربي، كما أن لهم الاهتمامات السياسية "فمن الناحية السياسية نجد أن والد الشاعر الشيخ علي الدرقاوي، كان داعية دينيا، وشيخا صوفيا بالإضافة إلى كونه رجلا مهتما بالشؤون السياسية للبلاد"،محمد خليل، م.س، ص63، وانظر:- محمد المختار السوسي، كتاب "الترياق المداوي في أخبار الشيخ سيدي الحاج علي الدرقاوي"، مطبعة المهدية – تطوان،1380هـ/1960م في 240 ص. وكتاب المعسول: ج1، ص 184-324. - محمد الفاطمي ابن الحاج، " إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين"، مطبعة النجاح الجديدة – البيضاء،ط1،1422هـ/1992م، ص:284

[12]) وهذا الحادث، لم يمنعه قط من مواصلتة للجد و التحصيل بل حفزته عائلته على مواصلة درب العلم والمعرفة. وانظر: - غلاب، م.س، ص:261.-مقال:" ملاحظات حول محمد المختار السوسي و أعماله"، علي صديقي، ضمن أعمال ندوة الذاكرة المستعادة، أكادير، 1984،ص.107-108.

[13]) ابن الحاج،م.س، ص:284.

[14]) انظر عبد الكريم غلاب، "الماهدون، الخالدون"، مطبعة النجاح الجديدة – البيضاء، ط 1، 1411هـ /1991م ، ص:260.

[15]) تقع في الشمال الشرقي لقرية إلغ. وانظر: السيرة الذاتية للعلامة رضى الله محمد المختار السوسي،م.س، ص31

[16]) تقع في قرية آيت براييم. . وانظر: السيرة الذاتية للعلامة رضى الله محمد المختار السوسي،م.س، ص34-35

[17]) ابن الحاج،م.س، ص:285.

[18]) انظر: السيرة الذاتية للعلامة رضى الله محمد المختار السوسي،م.س، ص35-36

[19]) كتاب المعسول 14/1.

لقد انتقل في سنة 1318هـ /(1919-1920م) إلى مدينة مراكش لاستكمال دراسته فانكب على التحصيل بجامع ابن يوسف التي قطن بها، وحضر الحلقات العلمية بالكلية اليوسفية المعقودة للفقيه محمد بن الحسن الدباغ، والفقيه محمد بن عمر السرغيني الشهير بابن نوح، وأبي شعيب الشاوي، والفقيه أحمد بن الحسن الخصاصي، كما حضر المجالس العلمية التي عقدها هناك الشيوخ الواردون عليها وهم: الفقيه فتح الله بناني، وشيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي الذي قال في حقه :"**ثم في سنة 1342 هـ طلع علينا السعد بطلوع الشيخ أبي شعيب الدكالي فكان ذلك في حياتي إجافة لباب وفتحا لباب آخر... فانقشعت الغشاوة**" ([20]). وقد تلقى عن هؤلاء الشيوخ بمراكش تحفة الحكام، ولامية الزقاق، والجوهر المكنون، والخزرجية في العروض، و السُّلَّم للشيخ الأخضري، وجمع الجوامع، ومختصر المواهب اللدنية، والجامع الصحيح للإمام البخاري([21]).

وكانت أول زيارة له إلى مدينة الدار البيضاء سنة 1339هـ/(1920-1921م). وهو في 21 من عمره، وخلال السنة الثانية من مقامه بمراكش، و حدث ذلك في رحلته إلى " بني زروال " لزيارة زاوية الشيخ العربي الدرقاوي. وفي طريقه عرج على عدة مدن، وفي ذلك قال: « **وفي عام 1339هـ خرجت صباحا أودع عبد العزيز الفاسي، ومولاي المهدي الجبلي المراكشي . وقد كنت معهما ومع أستاذنا القاضي ابن الحسن في رفقة دائمة . وكانا يقصدان فاسا، فإذا بهما عند السيارات أركباني، ولم أصطحب معي لا كسوة و لادرهما، فعرجنا على الجديدة فالبيضاء ففاس ثم إلى موسم مولاي العربي الدرقاوي، فرأيت إذ ذاك عالما آخر، وزرت مولاي عبد الرحمان الدرقاوي، ثم أكدني كثيرا على العلم، ثم رجعنا أدراجنا، ثم أديت بعد ذلك واجبي من نفقات السفر بعت فيه كتبي، لأنني ما كنت أحسبني مؤديا، إذ ما سافرت إلا ملزما. ولكن حين سئلت عن ذلك أديت في الحين، فكان ذلك درسا لي في المستقبل. وما أكثر أمثال هذه الدروس التي استأصلت فيها من نفسي الإشراف إلى بنات جيوب غيري كابن زاوية**« ([22])

كما تكررت زياراته إلى هذه المدينة خلال مرحلة مقامه بمراكش معلما ومربيا ومناضلا، والتي اسغرقت ثماني سنوات كاملة، أي من فاتح محرم سنة 1348هـ / 20 يونيو1929م إلى أواخر ذي الحجة سنة 1355هـ / 13 مارس1937، وتردد على مجموعة من المناطق المغربية وذلك بهدف تحقيق أهداف رجال الحركة الوطنية في نشر الوعي الوطني، وتنظيم الخلايا السياسية... وكانت تنقلات السوسي عبر مختلف المناطق المغربية تسعى بصفة خاصة إلى حمل وإقناع النخبة من العلماء والوجهاء وحتى من رجال السلطة المغاربة([23]) على إنشاء المدارس العصرية الحرة لفائدة أبناء الشعب، لتلقن فيها العلوم العصرية باللغة العربية، ولتسعى إلى تكوين أطر وطنية عليا متشبعة بالثقافة

---

[20]) الالغيات: محمد المختار السوسي ، ج.2.ص.225.

[21]) وانظر: السيرة الذاتية للعلامة رضى الله محمد المختار السوسي،م.س،ص40 وما بعدها

[22]) محمد المختار السوسي.(الإلغيات)،ج 2، ص224

[23]) من قواد الإدارة الفرنسية الذين استطاع المختار السوسي إقناعهم بذلك :القائد " العيادي " قائد الرحامنة. الذي أنشأ مدرسة " بن كرير " وعين على رأسها الأستاذ إبراهيم بن أحمد الإلغي، وهو أحد تلاميذ المختار السوسي النجباء.

العربية الإسلامية، فتكون بذلك كله منافسة للمدارس المفرنسة اللغة التي كانت إدارة الحماية تنشئها، وكانت تسعى إلى حصر مهمتها في تكوين الأطر الصغرى التي تحتاج إليها في تسيير إدارتها. وكان من أصدقائه البيضاويين الذين بادروا مبكرا إلى الإشراف على هذا النوع من المدارس: الأستاذ " الفقيه محمد الحمداوي " مؤسس مدرسة " الأميرة للا عائشة" ([24]) .فضلا عن مساعيه الدؤوبة من خلال هذه التنقلات إلى دعم ونشر أفكار الحركة الوطنية الهادفة إلى مطالبة إدارة الحماية بإدخال وإنجاز إصلاحات سياسية واجتماعية واقتصادية في البلاد. ولهذا الغرض زار محمد المختار السوسي مدينة الدار البيضاء عدة مرات.

ومع حلول سنة 1343هـ /1924م شد الرحلة إلى العاصمة العلمية فاس ،فاستوطن ببيت في المدرسة البوعنانية بالطالعة، وانتسب بها إلى جامع القرويين ، وتردد على مجالس العلامة المحدث محمد بن جعفر الكتاني، والمفتي محمد بن الطيب البدراوي، والعلامة محمد الحجوجي،و العلامة مولاي الصديق العلوي ، ومحمد العابد الفاسي ، وعبد الواحد الفاسي ، وابنه علال الفاسي ، وإبراهيم الكتاني ، وعبد العزيز بن إدريس... ([25])،فدرس الموطأ وشمائل الترمذي، والشفا للقاضي عياض، والمسند للإمام أحمد، والحساب، والجغرافيا، و المعلقات السبع، والكامل في اللغة والأدب لأبي العباس المبرد، وديوان الحماسة لأبي تمام الطائي. وقد تتلمذ في هذه الدراسة الأدبية على يد الأستاذ محمد بن العربي الوزاني المدغري([26]) .

وقد اندمج في البيئة الفاسية المنفتحة على العلم، فانخرط في الحركة الثقافية والوطنية وأنشأ مع جماعة من المفكرين الشباب في تلك المرحلة التي كان فيها الاستعمار الفرنسي متغلغلا في جل المناطق المغربية الركائز الأولى لعمل الحركة الوطنية ، وفي هذا الإطار يقول رحمه الله:"....**في فاس استبدلت فكرا بفكر فتكون لي مبدأ عصري على آخر طراز، فقد ارتكز على العلم والدين والسنة القويمة....، فكانت هذه المدن الثلاث : فاس والرباط وتطوان مركز التفكير في فجر المغرب الجديد،ومن هناك تمخضت الفكرة الوطنية المتركزة على الدين والاخلاق السامية، وكنت أصاحب كل المفكرين اذ ذاك ... ، وليث شعري كيف اكون لو لم اقض في فاس اربع سنوات قلبت حياتي وتفكيري ظهرا لبطن ثم لم افارقها الا وانا مجنون بالمعارف جنون قيس بن الملوح بليلاه حتى نسيت بها كل شيء** "([27])

---

[24]) قدر للمختار السوسي أن يعتقل في الدار البيضاء يوم 1952/12/14م في بيت هذا الرجل وبصحبته.وانظر: لمحمد المختار السوسي : – مقدمة كتاب: " إبليغ قديما وحديثا " ،(بقلم محمد بن عبد الله الروداني). – محمد خليل"محمد المختار السوسي في الدار البيضاء"، في ندوة محمد المختار السوسي الأديب المفكر، التي نظمتها كلية الآداب العلوم الإنسانية . عين الشق في أكتوبر 2004م

[25]) كتاب إلغيات للمختار السوسي ، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، 1382هـ / 1962 م،ج 3 ،ص 75 و ج 2،ص 128 . 131 ، 225 .231 ، 3: 209 . 213

[26]) وانظر: السيرة الذاتية للعلامة رضى الله محمد المختار السوسي،م.س، ص 55–62

[27]) محمد المختار السوسي، " الإلغيات"، طبعة الدار البيضاء،1963م،ج 2، ص:225 .

في هذا الجو الثقافي الذي قضى فيه العلامة محمد المختار السوسي أربع سنوات اقتنع خلالها بقيمة العلم والعمل ودورهما في تغيير حال المجتمع والوطن، فأسس رفقة رجال الحركة الوطنية جمعيتين :الأولى تحت غطاء ثقافي كان هو رئيسها والثانية سياسية سرية ترأسها المرحوم علال الفاسي، وفي هذا الإطار يقول:" **وقد أسسنا هناك جمعيتين : الأولى جمعية الحماسة كنت انا مع الأخ مولاي الصديق العلوي أول من دعا إليها ... شرفني الإخوان برئاستها ... والثانية جمعية سياسية سرية أسسناها في 12 رجب 1344هـ/26 يناير 1926م،ورئيسها الأخ علال أصغرنا ، وأعضاؤها : الفقيه الغازي ،وأبو المزايا الكتاني و مكوار ومولاي الصديق وسيدي المديني والجابري والفرسيوي والمختار ، وقد كان لهذه الجمعية فروع ، أو هي بنفسها فرع لجمعية أخرى أصيلة ... فوقعت اتصالات بيننا وبين قدماء التلاميذ بالمدرسة الإدريسية** ... "([28]) و كان أول مشروع بدأت به النخبة الوطنية نشر الوعي الإسلامي من خلال التطوع للتدريس باعتبار ذلك خطوة في تحقيق التغيير المنشود رغم أن نشاط هذه المدارس لفت إليهم أنظار المستعمر الذي عمد الى إغلاقها ونموذج ذلك المدرسة الناصرية وفي هذا الاطار يقول العلامة المختار السوسي:"... **فضلا عما أخذته هناك . أي فاس . ... حتى زلزلنا اغلاق المدرسة الناصرية التي كانت منتدانا ومسرح أفكارنا**..."([29])، وهو الأمر الذي نتج عنه اقتناع أعضاء الحركة الوطنية بنجاعة الأسلوب الذي سلكوه وضرورة انتشاره في المغرب للنهوض بمختلف جهاته([30]).

وقد رحل إلى مدينة الرباط التي أقام بها منذ سنة 1347هـ /(1928-1929م) وحولها يقول: " ... **حللت بالرباط وما أدراك ما الرباط الذي ترتبط به القلوب ، وتنتشب في حسن موقعه وهندامه العيون،فكانت السنة التي قضيتها هناك كسنة العروس في متعتها، علوم ومطالعات وفوائد واحترامات واكبارات ، عرفت بها كيف يكون الناس للغرباء**..."([31])، فحضر دروس علمائها، وكان دائما في مؤلفاته يحن الى مجالس شيوخه ومن بينهم: الشيخ ابي شعيب الدكالي الذي أخذ عنه بعض الأحزاب من تفسير كلام الله المبين، ودروسا من الأمالي لأبي علي المدني بن الحسني الرباطي الذي اخذ عنه طرفا كبيرا من التلخيص للقزويني، و ألفية العراقي في الحديث، والقاضي السائح الرباطي ، والعلامة محمد بن العربي العلوي ، ويستعرض ذكرياته مع الإخوان العلماء والأدباء من مثل العلامة التطواني السلوي الذي كان متجره بالرباط مجلسا يلتقي فيه المختار بثلة من الأدباء كالأساتذة عبد الله الجراري ، ومصطفى بن مبارك ، ومصطفى الغربي ، وابن عثمان المراكشي ... ([32]). **وفي هذا الاطار يقول** : "...

---

[28]) وانظر: السيرة الذاتية للعلامة رضى الله محمد المختار السوسي،م.س، ص62-64

[29]) السيرة الذاتية للعلامة رضى الله محمد المختار السوسي،م.س، ص62

[30]) مقال:" من هو العلامة محمد المختار السوسي"،ضمن سلسلة علماء سوس في القرن 20، جريدة العلم المغربية، العدد19405، يوم الأحد 6 جمادى الأولى 1424هـ/6 يوليوز 2003م.

[31]) السيرة الذاتية للعلامة رضى الله محمد المختار السوسي،م.س، ص65- 72.

[32]) الحسن شاهدي: المعسول مصدر للرحلات السوسية بدون تاريخ

دار الزمان دورته وقد أمضيت في فاس أربع سنوات ، تحولت فيها تحولا غريبا من كل ناحية،فاتيح لي ان ارسي بسفينتي في الرباط فتشرفت أيضا بدروس الشيخ شعيب الدكالي ولكن طال تعجبي كثيرا حين وجدت الدروس غير الدروس ... ولكن يمكن لي ان اعرف اسباب ذلك متنوعة، وذلك ان المختار نفسه في 1347هـ غيره في 1342هـ، وقد تقدم وطارت الدهشة وتمرن بعض التمرن في المعارف المتنوعة...([33]).

ويضيف قائلا: "... **أبصرت منه بدوري فكرا نافذا ثاقبا صوالا بالقواعد الأصولية، سبوحا في أمواج الفلسفة لبق التفريغ الى كل جانب ممكن ثم يحسن جمع رؤوس المسائل ، فكان في عيني في تلك الساعة عالما جديدا أعده من بين العلماء الذين أعرف لهم التفوق**"([34]) . ويذكر العلامة سيدي المختار السوسي في كتابه "مشيخة الالغيين" ان العلامة سيدي العربي السايح لقبه بالمفكر وفي هذا الإطار يقول:".... **فلقبني بالمفكر بعدما ذكرني بخير ، فكان ذلك أعظم حافز لي على مواصلة جهودي والاكثار من الاخذ عن الأستاذ في كل فرصة،فكم بحث طلي جال في الأستاذ بتفكيره المتزن، فكان لي كالمجهر الذي أدرك بع البعيد فاتصوره كما هو....** ([35]).

ومنها عاد إلى مدينة مراكش، و انتظم في سلك علمائها الرسميين قبل عام 1354 هـ/(1935-1936م)([36])، واستقر بزاوية والده في حي الرميلة و أنشأ مدرسة عربية حرة بها تطوع بالإنفاق على التلاميذ المنقطعين و الذين يدرسون بها[(37)]، واشتغل بالتعليم والتربية باعتبارهما في نظره السبيلان القويمان لمواجهة الجهل ومحاربة التخلف و القضاء على الأمية ومواجهة الاستعمار ومناهجه التعليمية التي كانت تركز على تحقير عقيدة الامة و محو لغتها . فبدأ بتدريس الاطفال وتحفيظهم القران وسرعان ما انتشر صيته فتقاطر عليه طلاب العلم باختلاف مستوياتهم فقام بتنظيم الدراسة وآوى اليه طلاب العلم واعتنى بالمواد التي أهملها الاستعمار في المقررات الرسمية كاللغة العربية والقران والتاريخ والسيرة النبوية وعلوم الحديث والأدب[(38)]... . وفي هذا الإطار يقول في كتاب الالغيات عن مدينة مراكش : "...**حيث الفؤاد لا يزال ثاويا ، حيث مناهل الصفا عذبة الموارد ، يردها هناك**

---

[33]) السيرة الذاتية للعلامة رضى الله محمد المختار السوسي،م.س، ص67

[34]) السيرة الذاتية للعلامة رضى الله محمد المختار السوسي،م.س، ص68

[35]) السيرة الذاتية للعلامة رضى الله محمد المختار السوسي،م.س، ص69.

[36]) السيرة الذاتية للعلامة رضى الله محمد المختار السوسي،م.س، ص77-79

[37]) ابن الحاج،م.س، ص:284- 287 بتصرف. و انظر: شيوخ المختار السوسي الواردين في كتابه " مشيخة الالغيين من الحضريين أو تراجم أساتذتي الحضريين : مراكش - فاس - الرباط"وقد الفه في مرحلة نفيه بإلغ مابين 1945/1937،نشر ابن المؤلف رضا الله عبد الوافي،تقديم عباس الجراري،مطبعة المعارف الجديدة،الرباط،2010.

[38]) انظر حوار اجراه ابن العلامة محمد المختار السوسي يكشف صفحات مجهولة من حياة أبيه،جريدة المساء المغربية،2009/9/10.

كل وارد ، حيث الإخوان الأساتذة "([39]) ، كما يذكر ثلة من شيوخه كعبد القادر المسفيوي ، ومحمد بن عبد الرزاق ، وأحمد المنجرة ، وعبد الله بن إبراهيم ، وعبد القادر بن حسن ، وعلي بن المعلم ، ومحمد الكانوني.

ولقد حصل رحمه الله على إجازات مكتوبة من عدة علماء مغاربة ومشارقة و أورد نجله لائحة بأسمائهم وهم كما يلي:

1) مولاي عبد القادر بن العربي السباعي السعيدي
2) سيدي المدني بن الحسني
3) سيدي محمد بن احمد العلمي
4) سيدي محمد السداتي الجكاني
5) سيدي محمد الماسي الإلياسي
6) محمد بن إبراهيم
7) سيدي الطاهر بن محمد الافراني
8) سيدي علي بن عبد الله بن صالح الالغي
9) سيدي الطاهر بن محمد الباعمراني
10) سيدي علي بن محمد الحسني الدمناتي
11) سيدي عثمان بن محمد الإكراري
12) سيدي الحسن بن عبد الرحمان الإكراري
13) النقيب عبد الرحمان بن زيدان العلوي
14) الشيخ سيدي عمر حمدان المحرسي(شيخ الحرمين)
15) سيدي محمد الطاهر بن عاور التونسي الحسني
16) أبو الاسعاد سيدي محمد بن جعفر الكتاني
17) سيدي محمد الرافعي الجديدي
18) الشيخ شعيب الدكالي (اجازة شفوية)([40])

ويضيف عميد المؤرخين المغاربة سيدي محمد المنوني عالمين هما:".... **مؤرخ مراكش القاضي عباس بن إبراهيم المراكشي السملالي و قاضي مكناس محمد بن أحمد العلوي الاسماعيلي....**" [(41)]

---

[39] الإلغيات للمختار السوسي ، ط 2،مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، 1382هـ / 1962 م ،ص 150

[40]) السيرة الذاتية للعلامة رضى الله محمد المختار السوسي،م.س، ص76. ويتوفر نجله حسب نفس الكتاب على أصول الإجازات 15 الأولى ، في حين لم يتمكن بعد من الحصول على أصول الاجازات 3 الباقية.

3: نشاط العلامة سيدي المختار السوسي ونتائجه: مدينة الدار البيضاء نموذجا:

➢ **أ:) تربويا:** دشن نشاطه بتعاطيه التعليم .كعادته دائما . اقتناعا منه أن هذا المجال هو السبيل الوحيد لتحقيق القسط الوافر من توعية الشعب، لأنه لا يمكن تحقيق أية نهضة ولا يمكن تحقيق الاستقلال والأمية منتشرة، والجهل باسط أجنحته على السواد الأعظم من الأمة. وهو يحدثنا عن قيامه بذلك بقوله: « **لم أكد أستقر بالبيضاء حتى راجعت عملي في التعليم العام، فالتف أيضا حولي طلبة سرعان ما وصلوا إلى 70 زيادة على صغار، وقد اتخذت أولا مركز تدريسي المسجد المحمدي، ثم استقررت في المسجد الذي بناه الفاسيون إزاء درب ابن العالية، حيث أقطن في دار اكتراها لي الحاج إبراهيم التملي التاجر المشهور، وقد ألقي فيه بعض الدروس في الأوقات التي لا أذهب فيها إلى المسجد** » ([42]) .

وهكذا كرر محمد المختار السوسي في هذه المدينة سلوكه الذي عرف به طيلة مقامه في مراكش، خاصة وأن عددا من طلبته في مراكش التحقوا به، واستطاع .كعادته . أن يتكفل بجميع لوازمهم، من مأكل وملبس ومسكن. مستعينا في ذلك بجماعة من تجار المدينة الذين يسارعون إلى تلبية طلباته المتعلقة بتكفل كل واحد منهم بما يستطيع من الطلبة. فضلا عن كونه يتحمل شخصيا نفقات إيواء عدد منهم، لدرجة أنه لما ألقي عليه القبض فنفي إلى معتقل " أغبالو نكردوس" بتافيلالت، بقي 14 طالبا يقطنون في بيته مع أبنائه الذين كان عمر أكبرهم لا يتجاوز ثلاث عشرة سنة. وأوصى أهل بيته بأن يبقى هؤلاء الطلبة في بيته وأن يعدوا أنفسهم كأن شيئا لم يقع وأن أستاذهم ما زال موجودا معهم ([43]).

➢ **ب:) توجيهيا:** كان حريصا على إعطاء دروس دينية وتوجيهية عمومية في المساجد بعد صلاة الصبح وما بين العشاءين، وسرعان ما نالت هذه الدروس شهرة واسعة على صعيد المدينة وفي هذا الاطار يقول: « **حين يجتمع الجم الغفير من الناس حتى يكتظ المسجد** » ([44]). الأمر الذي حمل الإدارة الاستعمارية على تكليف فرق من الجواسيس والمخبرين لتتبع نشاطه وحضور دروسه، وسرعان ما بدأوا يستدعونه من حين لآخر للاستجواب والاستنطاق، وفي هذا الإطار يقول في كتابه معتقل الصحراء : « **ذلك أنهم يعلمون كيف يكبر الناس ويستعظمون هجرتي من بلد يحكمه من هو ضد الملك، بل صرت إحدى المتكئات التي يتكيء عليها بعض**

---

[41]) محمد المنوني،مقال:"حياة فقيد المغرب المختار السوسي"، مجلة الإيمان، السنة 1 ذو القعدة 1383هـ/ 1964م ، ع5،ص:45-46.

[42]) معتقل الصحراء. ص: 15 ،. 16.

[43]) يقول الاستاذ محمد خليل انه سمع هذه الرواية الشفوية من تلميذه حسن امين الذي كان واحدا منهم. وانظر : مقال :محمد خليل"محمد المختار السوسي في الدار البيضاء، ضمن اعمال ندوة محمد المختار السوسي الأديب المفكر، التي نظمتها كلية الآداب العلوم الإنسانية . عين الشق في أكتوبر 2004م

[44]) معتقل الصحراء، ص16

المهاجرين من طلبة مراكش الذين بالغ من في مراكش في إهانتهم حين جلد كثيرين منهم حتى مات أحدهم بعدما بلغت به السياط مبلغها، فيما ذكر لنا، ولكنني وأنا أعرف ما أصنع ماض في شأني، عازم على أداء المهمة التي استطعت أن أنفع بها شعبي منذ أن ملكت أمر نفسي في مراكش، هذا الشعب الذي رفع من شأني وكساني وأطعمني، وأسكنني، بل وهيأ لي في البيضاء أن أبني دارا أملكها وهي الدار الوحيدة التي دخلت تحت ملكي في ماضي عمري، وذلك بعد نحو سنة من هجرتي هذه، أفلا يهتم مثلي بمثل هذا الشعب الكريم ؟ » ([45]).

وهكذا تحمل كل ذلك برباطة جأش، وبعزيمة صلبة، غير مستسلم لمختلف الضغوط والتهديدات التي كانت تمارس عليه من الإدارة، قصد ثنيه عن أداء مهمته التي يصر أمام المستعمرين وأذنابهم على كونها مجرد تعليم المواطنين شؤون دينهم من خلال دروسه في المساجد، وتعليم الطلبة اللغة العربية وعلوم الدين الإسلامي. ولما عزم على الشروع في إلقاء درسه الأول بمسجد الحفاري فور الانتهاء من بنائه، جاء عنده أحد القيمين على المسجد و حاول منعه من ذلك فثارت ثائرة الحاضرين فاضطر القيمون على المسجد إلى الرضوخ لضغوط الجماهير المصرة على رفض أي عالم آخر يعين في هذا المسجد مكان المختار السوسي.وفي هذا الجانب كان يتردد على عدة مساجد، وفي مقدمتها: المسجد المحمدي بحي " الأحباس "، ومسجد " ولد حبيبة " بحي بوشنتوف، ومسجد " الحفاري " بحي بن العالية، وكان قريبا من مسكنه.

➢ **ت:) سياسيا**: كان على اتصال دائم برجال الحركة الوطنية في المدينة، وكان متألقا في حسن إخفاء الكثير منها على عيون المخبرين والجواسيس الذين كلفوا بتتبع كل حركاته وسكناته، فهو دائم التنقل بين مختلف الخلايا، ولكنه مقدرته على إحاطة تلك التنقلات بالسرية التامة كانت فوق ما كان أعوان إدارة الحماية يتحلون به من الدهاء ومن المكر، لما كانوا يلازمونه في دروسه وفي غيرها. بيد أنهم عجزوا عن إثبات " التهمة عليه ". على الرغم من أنه لم يكن يومه يخلو من التحرك في هذا الشأن، للاتصال بالخلايا السرية التي كانت محكمة التنظيم وموزعة عبر مختلف أحياء المدينة. وكان السوسي يحضر الاجتماعات، مستعملا في تحركاته وسائل وحيلا كان يستطيع بها الإفلات من المراقبين والجواسيس المسخرين لتتبعه. وهكذا كانت علاقاته واجتماعاته بأعضاء كثير من الخلايا الحزبية على الخصوص شبه يومية أمثال السادة: الهاشمي الفيلالي، وبوشتى الجامعي، ومحمد الحمداوي، ومحمد هرواش الباعمراني، وحميدو فارس الوطني، والشرايبي، ومكوار...([46])

4:اعتقاله ونفيه: لم يمهل الفرنسيون محمدا المختار أكثر من 22 شهرا، لينفذوا في حقه قرار الاعتقال الذي جاء على إثر الاضطرابات التي عرفتها المدينة في ربيع الثاني 1372هـ/ دجنبر 1952م. إثر اغتيال الزعيم النقابي

---

[45]) نفسه ،ص17

[46]) انظر حوار اجراه ابن العلامة محمد المختار السوسي يكشف صفحات مجهولة من حياة أبيه،جريدة المساء المغربية،2009/9/10.

التونسي فرحات حشاد وهو يتحدث عن ذلك فيقول: « **جاء يوم الإضراب من أجل اغتيال الزعيم النقابي التونسي فرحات حشاد، وكان ذلك يوم الأحد، وفي يوم الإثنين ابتدأت الاعتقالات، فاعتقل الأخ المجاهد السيد الهاشمي الفيلالي ونظراؤه بالدار البيضاء ثم توالت الاعتقالات في جميع نواحي المغرب ...وفي صبيحة يوم الأربعاء، تهيأت لمثل ما أصاب الإخوان، وأنا موقن أنني أحدهم، وقديما قيل:**

من حلقت لحية جار له فليسكب الماء على لحيته

أصبحت أوصي من أريد توصيته على الأهل والصبيان الذين خلفتهم ورائي كزغب القطا، وقد كنت آخذ كراء الدار التي بنيتها في سيدي معروف كراء يقوم به أود العائلة، فذهبت بعد الغداء، فوصلت بين المكترين وبين من خلفته وصيا على الدار، ثم مررت بالدار، فلبست جبة غليظة ووضعت فوقي سلهاما غليظا، ودفعت للسيدة كناشة لا أريد أن أصاحبها معي وذلك من غير أن أقول لها شيئا على عادتي في مثل هذه المواقف، حفظا لها مما يحصل للعارف بالأمور من الهموم المخيمة من توقع الحوادث قبل وقوعها، ثم خرجت مع التلميذ النجيب سيدي أحمد المسفيوي... الذي ما كان يفارقني إذ ذاك، فيسايرني دائما حيث أذهب، فمررنا بزقاق فإذا بالجاسوس المسكيني ...وكان يثافنني ويتحيا لي، فقال: إنني اليوم في رخصة، وليس عندي أدنى خبر عما يقع ... ثم تجاوزناه، فصرت أثرثر بكل رباطة جأش مع صاحبي المسفيوي وأقول له: أرأيت أننا نعيش الآن في حوادث خطيرة سيكون لها فيما بعد اليوم صدى عميق في التاريخ، فربما تستدعى بعد ثلاثين سنة لتلقي محاضرة عما يقع الآن في هذا الطور الخطير الذي يمر به المغرب، فاستحضر أنك كنت مع المختار فشاهدت منه الممازحة وعدم المبالاة بما يموج حواليه، وقد استسلم لما يكون، حتى إن وجهه كما ترى ليقطر بشرا، فهكذا صرت أداعبه حتى وصلنا دار الأخ الأستاذ الحمداوي... فهناك فارقت صاحبي المسفيوي، فدخلت إلى الأستاذ الحمداوي وقد كنت زرته صباحا في مدرسته حيث أرسلت كلمة هاتفية إلى أخي عبد الرحمان بمراكش ليحضر عند الأولاد في أول يوم يصدمون فيه بابتعاد والدهم تهدئة لهم، وعسى أن يروح عليهم ليهدأ الأهل قليلا، وإن كان في الله وحده كفاية أليس الله بكاف عبده ، ثم إننا أنا والأستاذ جلسنا نتساءل عما كنا نتوقعه معا، وقد قربت صلاة العصر، ونحن في إحدى غرف الدار العليا، وبين أيدينا صينية الأتاي، فإذا بجرس الباب يرن فأطل مطل فإذا بالبوليس، فحقت الحاقة، ونزل ما كان متوقعا، وما له من دافع » ([47])

هكذا قدر للمختار أن يعيش من جديد حياة الاعتقال، التي ابتدأت حوالي الساعة الثالثة بعد زوال يوم الأربعاء 22 ربيع الثاني 1372هـ/ 10 دجنبر1952م. لكن حياة اعتقاله في هذه المرة كانت حياة سارة بالنسبة إليه، لأنه قضى القسط الأوفر من مرحلة السجن رفقة أصدقائه وإخوته في الكفاح، عكس محنته في سنوات الثلاثين

[47]) نفسه: ص21 . 22.

والأربعين التي قضاها في بادية سوس بعيدا عن الجو الذي ألفه منذ حلوله بفاس طلبا للعلم كما سبقت الإشارة إلى ذلك([48]). وقد صف المختار السوسي كيفية نقله إلى المعتقل بقوله:« **بدأت السيارة تقطف بنا وأنا ألتفت إلى الأخ الحمداوي وأقول له: الحمد لله الذي هيأ لنا بفضله أن تسير فينا الحوادث كما تسير في المصلحين والأنبياء والساعين في المصلحة العامة، ثم ألقيت على لساني هذه الآية: ﴿ وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد)([49]).**

ثم بعد تكلمنا قليلا التفت إلينا الحارسان الفرنسيان اللذان يركبان معنا فأمرانا بالصموت، وقد كنت أرى شبانا أقوياء كثيرين من الفرنسيين عند ركوبنا السيارة يموجون حولنا بكل قوة فقلت: هكذا كان شباب العرب حين كانوا يحتلون بلاد الفرس والروم والقبط في أول الاسلام، فهل نعيش حتى يسترجع العرب والمسلمون قوتهم فينشطون هذا النشاط بكل عزة وقوة؟ ... ثم بعد نحو ثلث ساعة في مركز الرباط خرجوا بنا... فإذا بنا إلى مكناس ...فدخلنا إلى محل وسط فيه كراسي من عود، فوجدنا الأخ أبا المزايا إبراهيم الكتاني والأخ السيد أحمد مكوار، والأستاذ سيدي محمد ملين....

مكثنا هناك في صموت إلا بعض الهمسات ... وقد طلبنا ماء الشرب فلم نؤت به ... وقد طلبنا القهوة والخبز وبعد أن وعدنا بهما كان الرفض هو الجواب الأخير .. .وفي نحو الثانية بعد منتصف الليل، أمرنا بالقيام فجمعنا اثنين اثنين في جامعة، يد هذا إلى هذا فكان من نصيبي شاب من مكناس ذكر لي أن اسمه (فضول) وأنه أخذ من القرويين، فركبنا ثلاث سيارات ونحن ثلاثة عشرة]...فطلع علينا الفجر قبل وصولنا إلى ميدلت ... وأمامنا وخلفنا سيارات جيب فيها الحرس ومعهم آلات الاتصال مع المركز ... ثم لما دخلنا قصر السوق وجدنا جدرانا حمراء، وجوا صافيا، وسماء زرقاء فعراني ابتهاج بهذا المنظر المبهج في هذا الفصل فتفاءلت خيرا، ثم لمحنا سيارات جيب كثيرة مصطفة في جانب المركز فلم ندر المقصود بها.

أمرنا بالنزول، ثم وقفنا صفا واحدا وقد بلغ بنا الإعياء والسغب والسهر مبلغا عظيما، ولم يطل بنا الوقت حتى استدعينا لنمثل أمام الجنرال الفرنسي رئيس ناحية تافيلالت، فاصطففنا أمامه، ونحن بجامعاتنا، فقال لنا كلاما لينا لطيفا محصله: ... أن الحكومة لا تقصد تعذيب أحد منكم وإنما هذا السجن سياسي ... فهكذا عرفنا إلى أين نحن سائرون، وكنا على بصيرة في مصيرنا، ثم خرجنا من عنده فأعطي كل واحد منا خبزة فرنجية مستطيلة ... .بعدما استرحنا نحو نصف ساعة ... وقف مناد ينادي: أين فلان؟. فيتقدم من ينادى باسمه لمن جاء يتسلمه من المكتب الذي سيذهب إليه، وهكذا، وحين نودي باسمي تقدمت

---

[48]) إذا كانت مرحلة نفيه إلى سوس تعد محنة في نظر بعض المؤرخين ، فهي كانت نعمة بالنسبة اليه و إلى سوس، لأنه لولا ذلك النفي لما تفرغ إلى كتابة العشرات من المؤلفات عن هذا الإقليم.

[49]) الاية 44 من سورة غافر

فسلمني فسيان (ضابط صغير) جاء من مركز (تينجداد)، ثم ذهب بي إلى سيارة جيب من تلك السيارات المصطفة المذكورة، فوجدت في السيارة عونين بسلاحهما وهما مسلمان ... فدخلنا المركز وقد حان وقت العصر.مثلت أمام الرئيس ... فما عدا أن كتب حالتي المدني ... ثم ذهب » ([50])

قضى المختار مدة تسع أشهر في معتقله بتينجداد وحيدا و في هذا الاطار يقول: " **عرف خلالها أصنافا شتى من المعاملات: فمن حرمانه من الخروج من " زنزانته "إلى تمتيعه بالحركة وبالشمس لمدة نصف ساعة فقط صبحا ومثلها مساء، إلى رفع المدة لساعتين أو ثلاث في اليوم. ومن حرمانه من المطالعة وحجز جميع كتبه إلى الترخيص له باستردادها، ومن مراقبة دقيقة لمشترياته ومصاريفه إلى تأمينه على دراهمه والترخيص له بصرفها كيف يشاء على يد عون معين، إلى غير ذلك من أنواع المعاملة** "([51]).

ثم بعد ذلك نقل إلى معتقل " أغبالو نكردوس " حيث كان يوجد حوالي الخمسين من إخوانه المعتقلين الذين قضى معهم المدة المتراوحة ما بين يوم 27 ذي الحجة 1372هـ /07 شتنبر 1953م، ويوم الإفراج في 09 ذي القعدة 1373هـ /10 يوليوز 1954. وبهذا تكون المدة التي قضاها في معتقلي " تافيلالت " عاما وسبعة أشهر بالضبط. وقد كان ثاني معتقل ،وقد أفرج عنه بعد ابن كيران. ثم توالى إطلاق سراح الباقين([52]). وفي وصف كيفية تلقيه نبأ الإفراج عنه يقول: « **أصبحت يوم الثلاثاء 27 شوال 1373هـ وهو ما يوافق 29 يوليوز 1954م،وقد راجعت فراشي على خلاف عادتي من هجر نوم الصباح. فقد كنت أقرأ من أحزابي إلى أن غلبت عليّ عيني عند الشروق، ثم لما قام رفقائي للفطور حاولوا مني أن أقوم، فأحسست بثقل في همتي أكثر مما أحس في جسدي، فلم أقم فظنوني قد ألم بي سقم أو غلب عليّ النوم، فصاروا يفطرون، وأنا أقرأ سورة النمل سرا، وكان ذلك عند السابعة، فإذا بأحمد بن قاسم الفگيگ جاء يجري، فدخل البيت بسرعة وهو يناديني:قم يا سيدي البشرى، فإنك مسرح، فتثاقلت في قيامي كأن الأمر لا يهمني، أو كأني مريض حقيقة، والواقع أنني أحسست بصدمة في قلبي صدمة المباغتة غير المنتظرة ... وجاء العريف المحمدي، فقال: إن المراقب أرسل لتجمع متاعك الآن** »([53]).

([50]) معتقل الصحراء، للعلامة المؤرخ محمد المختار السوسي ،صدر في جزئين: ج1، مطبعة الساحل، الرباط، ط1، 1982 ص24 .26 . وج2،صدر عن مطبعة المعارف الجديدة بالرباط بالمغرب ط1، 1432.

([51]) محمد خليل،مقال:"محمد المختار السوسي، دراسة لشخصيته وشعره "،ط1،مؤسس بنشرة للطباعة والنشر ،البيضاء ،1985، ص: 106.

([52]) تجدر الإشارة إلى أن من بين المعتقلين الذين كانوا معه: المهدي بن بركة، محمد الفاسي، إدريس المحمدي، المكي بادو. عمر بن شمسي...

([53]) معتقل الصحراء. ج1، ص 216

ووصل العلامة سيدي محمد المختار السوسي إلى الدار البيضاء في صباح اليوم الموالي، إلأ أنه وضع تحت المراقبة في مركز الشرطة « **لمدة عشرة أيام قبل إطلاق سراحه بصفة نهائية، ذلك أنه في الوقت الذي فيه بهذه المدينة اغتيل الدكتور " إيروا " مدير جريدة " لافيجي ماروكان " من قبل الفدائيين الشيء الذي كان له الأثر السيء على السلطات الفرنسية، خاصة وأن هذا الشخص كان من كبار رجال الاستعمار في المغرب** »([54]).

وهكذا عاد المختار السوسي إلى بيته في الدار البيضاء في الوقت الذي بدأت فيه بوادر انفراج الأزمة المغربية تلوح في الأفق « **حيث أطلقت السلطات الفرنسية معظم المعتقلين السياسيين، ودخلت في مفاوضات تمهيدية مع زعماء مختلف الاتجاهات السياسية انتهت بعقد مؤتمر(إيكس . ليبان) في صيف 1375هـ/ 1955 وبعده ببضعة شهور عاد الملك محمد الخامس إلى أرض الوطن، ففتحت المفاوضات بين الحكومتين المغربية والفرنسية، انتهت بتوقيع معاهدة الاستقلال في 2 مارس 1956** »([55]). ولم يقم العلامة سيدي المختار السوسي خلال المدة المتراوحة ما بين إطلاق سراحه وعودة محمد الخامس، بنشاط هام سواء من الناحية السياسية أو التربوية، « **نظرا للظروف التي كانت سائدة في جميع أنحاء الوطن، وخاصة بالنسبة إليه ولأمثاله من القادة السياسيين الذين سلطت عليهم الحراسة الظاهرة والسرية، والذين يستدعون للاستنطاق كلما حدث حادث، إذ كانوا في حكم المعتقلين** ... »([56])

5- الوظائف التي تقلدها ومقتطفات من تابينه:

لما أكرم الله تعالى على المغرب بالحصول على استقلاله، عُيِّنَ في أول حكومة مغربية وطنية وزيرا للأوقاف العمومية سنة 1375هـ/1956م، و بقي في هذا المنصب 11 شهرا، و عين عضوا في لجنة مدونة الفقه الإسلامي([57]). و ساهم في تاسيس جمعية علماء سوس بتزنيت بعد عودته من المعتقل اذ نسق العمل مع أعضاء الجمعية، وحددت أهدافها، والبرنامج الاجتماعي والثقافي الذي يتحتم عليها إنجازه، وما أن عاد المغفور له السلطان محمد الخامس من المنفى حتى قدم إليه أعضاء الجمعية وذلك في جمادى الاولى 1375هـ/دجنبر 1955. وبذلك انطلقت في تنفيذ مشاريعها التي هيأتها من قبل .ولاتزال هذه الجمعية قائمة وفاعلة الى اليوم ([58]).و أشرف

---

[54]) محمد المختار السوسي، دراسة لشخصيته وشعره.ص: 109

[55]) محمد المختار السوسي، دراسة لشخصيته وشعره.ص: 109

[56]) . محمد المختار السوسي، دراسة لشخصيته وشعره، ص: 110.

[57]) الحاج أحمد معينو،مقال:" وزير التاج أو تاج الوزراء الأستاذ محمد المختار السوسي"، مجلة (الإيمان)، ع. 114/113، يناير . فبراير 1982

[58]) محمد المختار السوسي، دراسة لشخصيته وشعره، ص: 110.

على بناء المعهد الإسلامي بمدينة في تارودانت .ولايزال هذا المعهد قائما الى اليوم ([59]) والذي قام جلالة المغفور له محمد الخامس([60]) على وضع حجره الاساس ([61]) والذي يعرف اليوم بثانوية محمد الخامس للتعليم الأصيل([62]). كما دعا لتأسيس لجنة لتدوين وفيات اعيان المغاربة في القرن 14هـ/ 20م، وحاول تاسيس جمعية للمؤرخين المغاربة ([63])، وندب حسب العلامة سيدي محمد المنوني لوضع بعض المؤلفات التاريخية ، وكثيرا ما كان يمد رحمه الله الخزانة العامة بالرباط بنوادر المخطوطات لتصويرها([64]).وكان عضوا في اللجنة العلمية التي حررت مدونة الأحوال الشخصية المغربية([65]). وكان قد أدى مناسك الحج لما عين عضوا في الوفد الرسمي المغربي لعام

---

[59]) انظر: مقال خالد صقلي: "إسهام المغفور له محمد الخامس و علماء جمعية سوس في تاسيس المعهد"،ضمن اعمال ندوة تحت عنوان: المعهد الإسلامي محمد الخامس بتارودانت السياق الوطني والعطاء العلمي، يومي 24 - 23 مارس 2012، بتارودانت.

[60]) انظر خطاب جلالة الملك محمد الخامس بمناسبة وضع الحجر الاساسي لمعهد تارودانت،منشورات جمعية علماء سوس جهود وشهود نشرة وثائقية،،مطبعة الورود،انزكان،2010، ص59-60

[61]) وانظر نص المحاضرة القيمة التي القاها العلامة محمد المختار السوسي وهو آنذاك وزيرا للأوقاف، يوم افتتاح وتدشين دروس المعهد الإسلامي بتارودانت، مفتتح أول السنة الدراسية (56 .57) بالجامع الكبير بالمدينة حيث كانت تقام الدروس مؤقتا في انتظار إتمام بناية المعهد. وهذه المحاضرة عبارة عن درس توجيهي أشاد فيه بماضي سوس العلمي بصفة عامة وبماضي تارودانت بصفة خاصة، وأكد فيها لطلبة المعهد أن يبذلوا جهودهم لربط الماضي بالحاضر واقتفاء أثر من سبقوهم من العلماء والفقهاء. وراجع:"مقال ماضي سوس العلمي محاضرة للعلامة محمد المختار السوسي"،رضى الله عبد الوافي المختار السوسي، جريدة التجديد : 31 - 03 – 2008. – مداخلة عبد الوافي رضى الله بعنوان:" الدرس الافتتاحي لمحمد المختار السوسي بالمعهد"،و مداخلة الأستاذ عبد الله كيكر بعنوان:" دور محمد المختار السوسي في تكوين رواد التدريس بالمعهد"،ضمن اعمال الايام الدراسية تخليدا للذكر ى الذهبية لتأسيس المعهد الإسلامي بتارودانت، في موضوع: "المعهد الإسلامي محمد الخامس بتارودانت السياق الوطني والعطاء العلمي"يومي 24 - 23 مارس 2012، تنظيم جمعية علماء سوس بتنسيق مع جمعية قدماء معهد محمد الخامس بتارودانت والمجالس العلمية المحلية بجهة سوس ماسة درعة

[62]) . سعد الدين العثماني ،" المنهج الإصلاحي عند محمد المختار السوسي"، مقال في ندوة الذاكرة والمسار تنظيم جمعية الوفا لبناء ورعاية متحف محمد المختار السوسي ،21 ماي 2011، تزنيت، وهو منشور على صفحات جريدة التجديد(المغربية)، على الرابط:

- http://www.att*ajdid.info/def.asp?codelangue=6&infoun=66824*.
- http://www.mokhtarsoussi.com/index.php/articles/27-manhajislahi

[63]) ابن الحاج ، م.س، ص: 289/288. وانظر : - عبد الكريم غلاب، م.س، ص: 269/259. - محمد المنوني, مقال سابق، ص: 52/42، ضمن اعمال ندوة "الذاكرة المستعادة"،م. س.

[64]) مقال: "العلامة المختار السوسي في ذمة الله"،مجلة الإيمان ، مطبعة فضالة ،المحمدية،السنة رجب 1383 الموافق دجنبر 1983،ع 1، ص52

[65]) مقال :"من هو العلامة محمد المختار السوسي(1318-1383/ 1900-1963"، المهدي السعيدي، ضمن سلسلة علماء سوس في القرن 19 م،جريدة العلم المغربية،العدد19405،الأحد6 جمادى الأولى 6/1424 يوليوز 2003.

1365هـ/ 1946م، كما كان رئيسا للجمعية التي سهرت على بناء مدارس ابن دغوغ بمراكش ([66]) تحت موافقة جلالة المغفور له محمد الخامس قدس الله روحه وطيب ثراه، كما كان محط اهتمام الباشا التهامي الكلاوي إلا أن الوشاة حالوا دون استمرار هذه العلاقة المتبادلة من احترام وتقدير ([67]). وفي سنة 1367هـ / (1947-1948م) زار تونس وعين عضوا في مجلس أحباس الحرمين الشريفين، وقد رفض البعض قيام المختار السوسي بهذه المهمة –أي الذهاب إلى تونس فتدخل آنذاك الملك و أعلن أمره وحسم في القضية وفي هذا الإطار يقول المختار السوسي: "**والملك يلح حتى قال لهم :أنني لا أوافق على ذهاب الوفد إن لم يذهب فلان**" ([68])، ويقصد طبعا المختار السوسي بكلمة "فلان"([69]).كما رفض تولي منصب القاضي الشرعي للقصور الملكية[70].

ولما أسس مجلس التاج، عُين وزيرا عضوا فيه عام 1376هـ/1957م، وقد جاء أجله شهيدا نتيجة مضاعفات ناتجة عن حادثة سير[71] في يوم 29 جمادى II عام 1383هـ،الموافق 17 نونبر عام 1963م. في طريق الدار البيضاء ـ الرباط « عندما كان عائدا إلى الرباط قادما من مراكش حيث حضر مراسيم استقبال جلالة الملك المغفور له الحسن الثاني طيب الله ثراه لدى عودته من مؤتمر قمة إفريقي رباعي عقد بباماكو عاصمة جمهورية مالي لدراسة مشكلة الحرب القائمة بين المغرب والجزائر حول الحدود ([72]). وقد توفي رحمه الله بعد حياة

---

[66]) في هذه المرحلة تعرف علي العلامة سيدي محمد المنوني عن طريق العلامة عبد السلام ابن سودة المري. وانظر: مقال: "العلامة المختار السوسي في ذمة الله" ، مجلة الإيمان ،مطبعة فضالة ـ المحمدية، السنة رجب 1383 الموافق دجنبر 1983، ع 1، ص47

[67]) معتقل الصحراء: محمد المختار السوسي، الجزء الأول، مطبعة الساحل، الرباط، ط1982،1،ص12

[68]) انظر: – معتقل الصحراء،م.س ، ص.11. – دليل مؤلفات العلامة المختار السوسي،ط2، 2005، ص27، رقم 92.

[69]) لقد كانت تربطه روابط قوية بالسلطان إذ نجده في كتاب معتقل الصحراء، ص15، يعلن تأييده ومبايعته للملك ، وفي هذا الاطار يقول:"لأعلن من أول يوم أنني من شيعة ملكي لا من شيعة غيره"، و من هنا تظهر هذه الرابطة القوية والمتينة التي تربطه بالعرش العلوي.

[70]) – ابن الحاج، إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين"، مطبعة النجاح الجديدة – البيضاء، ط 1422،1هـ/1992م ، ص:288 . و انظر:– أبي بكر القادري، كتاب "أبي بكر القادري : سيرة ذاتية في حوارات صحافية"، مطبعة النجاح الجديدة – البيضاء، ط 1، 1422هـ/2001م، ص:135-171.– الحسين أفا،مقال:" العلامة المختار السوسي و انخراطه في الكفاح الوطني و العمل السياسي"،مجلة المناهل – الرباط، عام 2005، العددان75-76، ص: 345-346.– محمد خليل ،كتاب " المختار السوسي: دراسة في شخصيته و شعره"، مطبعة الدار البيضاء ، ط1406،1هـ/1985م.

[71]) ابن الحاج ،م.س، ص: 267.

[72]) انظر: – "محمد المختار السوسي، دراسة لشخصيته وشعره"، م.س،. ص113. – محمد خليل، مقال:"محمد المختار السوسي في الدار البيضاء"، ضمن اعمال ندوة محمد المختار السوسي الأديب المفكر، التي نظمتها كلية الآداب العلوم الإنسانية . عين الشق، أكتوبر 2004م ،البيضاء.–http://www.mokhtarsoussi.com/index.php/articles/52-soussicasa#_ftn8

حافلة بالعطاء والإنجازات([73]). ودفن في مقبرة الشهداء بجوار ضريح الشهيد علال بن عبد الله الفاسي خارج باب لعلو في الرباط، وقد وقفت على قبره ونقشت على رخامة شاهد القبر مايلي:"**بسم الله الرحمان الرحيم، "كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون"([74])،"إنا لله وانا اليه راجعون"([75])،هنا يرقد جثمان الطيب الذكر ، فقيد العلم والدين ، الأستاذ الأكبر، العلامة الأشهر الشاعر الناثر ، صاحب تآليف ودواوين جمة،الوطني المجاهد المصل الغيور على دينه وأمته ،الوزير المستشار بمجلس التاج سيدي رضا الله محمد المختار السوسي ابن الشيخ الولي الصالح سيدي الحاج علي الدرقاوي الإلغي. ولد بإلغ في صفر 1318 الموافق سنة 1899، وتوفاه الله بداره بالرباط زوال يوم الأحد 29 جمادى الثانية 1383 الموافق 17 نومبر 1963، إثر حادثة سيارة تغمده الله برحمته وأسكنه فسي جناته.**

وقد قال الفقيد في شرخ شبابه:

الحق حق وفيه أحيا وألقى الحماما
فما أعش فمحق وإن أمت فسلاما
وما ابالي إذا ما حسنت ربي الختاما"

---

[73]) مقال:"دور سوس في خدمة الثقافة العربية والإسلامية محمد المختار السوسي نموذجا"،طه جابر العلواني . وهو رئيس المجلس الفقهي لأمريكا الشمالية و رئيس جامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية – فرجينيا الولايات المتحدة الأمريكية – ،ضمن اعمال ندوة "التراث الإسلامي بسوس"، المنظمة من طرف كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة ابن زهر ،أكَادير، والمعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن، أيام 18-16شعبان1420هـ/ 25-27 نونبر 1999 .

[74]) سورة القصص، الآية 88.

[75]) سورة البقرة، الآية 156.

وقد عبرت مراسم جنازته عن سمو مكانته لدى المغاربة شعبيا ورسميا.ويذكر في هذا الإطار العلامة سيدي محمد المنوني موكب الحدث قائلا:".... **إذ شيعت جنازته في موكب طويل مشى فيه ممثلون عن الجلالة الملكية، وشارك فيه من الرباط وخارجها العلماء والمواطنون وشخصيات رسمية مغربية وأجنبية ،وكان تشييع الجنازة تحت إشراف السيد وزير الأوقاف بآمر من صاحب الجلالة ...**"([76])

وأسْدِلُ الستار عن هذا المحور بذكر نموذج من كلمات التأبين و الرثاء التي قيلت في حقه رحمه الله عقب التحاقه بالرفيق الأعلى و هي كلمة جمعية شباب النهضة الإسلامية و نصها: "**فُجعَ المغرب في عالم من علمائه الأعلام، و داعية إسلامي من أكابر دعاته المخلصين ، و أديب من أدبائه المبرزين ... لقد أمضى الفقيد حياته الحافلة ما بين بحث علمي و دعوة إسلامية صادقة، فَألَفَ كثيرا من الكتب في مواضيع شتى . . . كما تَخَرَجَ على يديه مئات من العلماء امتازوا بسعة الاطلاع و الغيرة الإسلامية الصادقة ... وُيعْتَبَرُ الفقيد من رواد النهضة المغربية الأول و من المؤسسين القدامى لحركتها الوطنية التي كافحت ضد الاستعمار و أذنابه إلى أن تحقق استقلال البلاد، و لقد أُوذي و ابتُلي و سُجن و نُفي المرات العديدة، فما تَزَحْزَحَ عن عقيدته، ولا تَوانَى في أداء واجبه العلمي و الديني و الوطني، بل ثبت و صبر و وفى كل الوفاء لمبادئه و رفقائه. و إن كل الذين أتيح لهم التعرف إلى الفقيد كانوا يُلاحظون فيه صفات و أخلاق و مزايا قلما اتصف بها غيره : تواضع جم، و بساطة متناهية و أخلاق سامية و وفاء للأصدقاء، لم يغيره النفوذ و لم يغير من طبيعته الكرسي ،بل بقي رحمه الله يتحكم في الوظيفة و لا يتحكم لها و يخضعها لأخلاقه و لا يخضع لها ...**"([77]).

ويقول المرحوم سيدي عبد السلام ابن سودة في حقه:"... **هو العلامة الحجة المشارك المطلع الحافظ النفاعة المؤرخ الشهير ، خدم العلم منذ نشأته إلى وفاته من غير انقطاع، وتخرج على يد علماء لهم شهرة في زمانه....**"([78])

ويقول المرحوم العلامة سيدي عبد الله كنون . وهو في وقته الأمين العام لرابطة علماء المغرب . ضمن كلمة تأبينه:"**.....لقد رأينا أننا بازاء قمن من قمم العلم والأدب ،وعلم من اعلام الوطنية لا نجد له مثيلا ولا نظفر بعده بعوض عنه.....**"([79])

---

[76]) مقال: "العلامة المختار السوسي في ذمة الله" مجلة الإيمان ، مطبعة فضالة، المحمدية، السنة رجب 1383/ دجنبر 1983،ع 1،ص47

[77]) مقال: "العلامة المختار السوسي في ذمة الله،ص: 52.

[78]) عبد السلام ابن سودة،اتحاف المطالع بوفيات اعلام القرن الثالث عشر والرابع،ج2،دار الغرب الاسلامي،ط1997،1، ص580- 581.

ويقول أستاذي المؤرخ المرحوم سيدي محمد المنوني الذي عاصر المختار السوسي و ربطته به علاقة مودة كبيرة: " **ندرك أننا أمام شخصية كبيرة، شخصية علمية وإسلامية كَونَتْهَا مُلازمة طويلة لكثير من مشايخ العلم بالمغرب في البوادي و الحواضر ، ثُم لقحتْهَا مُطالعات و مُذكرات و اتصالات.وإن ميزة الفقيد العلمية تَلمَعُ أولا في ثقافته الأدبية و اللغوية، فهو شاعر فحل ...و هو كاتب بليغ طويل النفس، و هو متضلع في اللغة العربية تضلعا قل نظيره عندنا**"[80].

وصفوة القول بالنسبة للمحور الأول ان العلامة سيدي محمد المختار السوسي تدل محطات حياته على عبقرية هذا الرجل الذي في خضم المعاناة والمضايقات حرا ومنفيا ناضل على عدة مستويات من اجل تحقيق استقلال بلاده .وسعى الى تحقيق نهضته بعد استقلاله حتى جاء اجله شهيدا ولكن بعد أن صادق ما عاهد الله عليه.

المحور الثاني: الإنتاج الفكري للعلامة المختار السوسي:

خلف المختار السوسي تراثا فكريا وفقهيا وتاريخيا وأدبيا ضخما فقد ألف خاصة عندما كان في المنفى عشرات الكتب، وشرح عدة مصنفات وكتب عدة مقالات في عدة مواضيع تتصل بأبواب من الثقافة المغربية خصوصا وأنواع من العلوم الإنسانية عموما، وتَبْلُغُ عدد آثاره 150 أثر علمي كما أوضحت في دراسة قمت بها وقد وصفه بعض الدارسين بأمير شعراء المغرب و نجد كنموذج لشعره نظما له وهو في المنفى و منه قوله:

كيف العزامُ و قد تُبحبحُ أرضُنا ❁ مُستعمرونَ أتوا بكُل خُطُوب[81]

و يُعْتَبَرُ المختار السوسي شخصية فكرية بارزة في عدة علوم إنسانية،وعلاوة على ذلك يعد كاتبا بليغا و باحثا مهتم بالبحث عن دفائن كنوز التراث الفكري و الحضاري الأمازيغي و العربي و الإسلامي، فَقَدْ أثْرَى المكتبة بِعَدَدٍ لا يُستهان به . و إن البحث في علاقة محمد المختار السوسي بعلم التاريخ يفرض علينا بداية، الإجابة عن أسئلة من قبيل: لماذا اشتغل محمد المختار السوسي بالتاريخ؟ هل لوعيه بأهمية التاريخ كقيمة حضارية؟ أم أن الظروف فرضت عليه مقاومة الفراغ والنسيان فلجأ إلى جمع المادة التاريخية لمنطقة سوس؟ ويجيبنا العلامة محمد المختار في غير موضع من كتاباته "التاريخية" عن ذلك، لنستخلص من ذلك أن أهداف اشتغاله بالتاريخ كثيرة، ويمكن إجمالها فيما يلي :

- الرغبة في تحرير نفسه من أزر الوحدة والعزلة والابتعاد عن حلقات الدروس [82]

---

[79])منجزات جمعية علماء سوس في عهد محمد الخامس رضوان الله عليه،من وثائق الجمعية، مطبعة الورود،انزكان، 2012،ص158

[80]) انظر : محمد المنوني ، مقال:" المؤسسات التعليمية الأولى بسوس و خصائص المدارس العتيقة بالمنطقة"، ضمن أعمال ندوة أكادير الكبرى ، محور الفكر و الثقافة ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر،1990م، ص: 50.

[81]) غلاب، م .س، ص:265. وانظر: ندوة نظمتها مؤسسة الفقيه التطواني للعلم والأدب حول موضوع " العلامة محمد المختار السوسي: الذاكرة والمسار" وذلك يوم 21 مايو 2011، سلا.

- الرغبة في الرد على ما يكتبه المغرضون عن تاريخ المغرب.[83]
- الرغبة في تحصين التاريخ الحضاري للبلاد من الطمس الاستعماري الذي بدأ يزحف ليشوه الحقائق التاريخية [84]
- يكتب محمد المختار السوسي، ويجمع المادة التاريخية لـ "إفادة المؤرخين غدا([85])

و يعتبر شروع محمد المختار السوسي في كتابة كتاب "مراكش في عصرها الذهبي"، تاريخ بداية تبلور الحس التاريخي لديه، بالرغم من أن نفيه إلى "إلغ" سنة 1937 حال دون إتمام مشروعه ذاك. يقول في هذا السياق:" ... **وبعد فإن تاريخنا لم يكتب بعد كما ينبغي حتى في الحواضر التي كتب عنها كثيرون قديما وحديثا، فهذه مراكش التي كتب عن رجالاتها الزائرين والساكنين شيخنا سيدي عباس ، لم تفز بعد بمن يكتب عن نواح شتى من أدوارها التي تقلبت فيها**"([86]).

1: قائمة لمعظم مؤلفات المختار السوسي:

لا مندوحة للباحث في كثير من شؤون منطقة سوس من الرجوع إلى كتابات علامتها محمد المختار السوسي، فقد نذر نفسه كما يتبين من خلال آثاره المتعددة للكتابة عنها،وذلك بضبط حوادثها وأطوارها المتعاقبة والتعريف برجالاتها من العلماء والأدباء والصوفية والرؤساء وغيرهم وحفظ آثارهم وتخريج بعضها واستقصاء عاداتها ونوادرها وما إليها مما له اتصال بأهلها وحياتهم في مناح شتى. ولم يكن ذلك منه عن تعصب إقليمي مقيت يهدف الى العنصرية والتفرقة وإنما عن نزوع لأداء الواجب نحو المنطقة التي ينتمي اليها وجمع جهده لوضع سجل معمق عنها يكون الى جانب ما وضعه وما ينبغي ان يضعه الباحثون عن جميع المناطق المغربية عمدة لمن سيكتبون التاريخ المغربي العام([87]).

ولقد ألف المؤلف عدة مؤلفات وكتب، تتسم بالتنوع والاختلاف، وتناول فيها كل الجوانب، وهذا يرجع بطبيعة الحال إلى موسوعيته وإلمامه بجل المعارف والميادين و هذه الجوانب هي كما يلي:

---

[82]) المعسول، 15/1.

[83]) سوس العالمة، ص أ من مقدمة الكتاب.

[84]) سوس العالمة، ص أ-ب.

[85]) المعسول، 287/20.

[86])انظر كتاب عباس بن إبراهيم السملالي،"الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، مراجعة عبد الوهاب بن منصور،المطبعة الملكية،الرباط،ط2، 1983. - سوس العالمة، ص ج.

[87])أحمد العراقي،" مدينة تزنيت وباديتها في الذاكرة التاريخية والمجال والثقافة" ،ضمن أعمال الندوة التي نظمتها كلية الآداب والعلوم الانسانية ، أكادير، ايام 12-14 نونبر 1993، ونشر ضمن أعمالها ص(285-292).ونشرها أيضا في كتاب أمشاج بحوث مغربية،ط1، 2004،مطبعة انفو – برانت ، فاس.

- الجانب الديني ومثال ذلك ترجمة كتاب الأربعين النووية([88])، والمجموعة الفقهية.

- الجانب الأدبي ومثال ذلك كتاب مترعات الكؤوس في بعض آثار لأدباء سوس([89]) وكتاب التريدة في شرح قصيدة العصيدة و ديوان الزهر البليل فيما نفث به الفكر الكليل.

- الجانب التاريخي وهو المجال الذي انفرد بحصة الأسد في مؤلفات العلامة سيدي المختار السوسي، وهذا يعود لاهتمامه وولعه المبكر بالتاريخ ومثال ذلك كتاب مراكش في عصرها الذهبي.و أدوار سوس التاريخية، و من أفواه الرجال ([90])

- الجانب السياسي ومثال ذلك كتاب معتقل الصحراء الذي يصنف في الأدب السياسي لأنه عبارة عن ديوان وكتاب مذكرات عن المعتقل،وكتاب مجوعة دروس أغبالو نكردوس.

- الجانب الثقافي والعلمي ومثاله كتاب رجالات العلم العربي في سوس و كتاب مدارس سوس وعلماؤها.

- جانب التراجم والسير ومثال ذلك كتاب الترياق المداوي في الأحوال الحقيقية للشيخ على الدرقاوي، وكتاب مشيخة الالغيين من الحضريين أو تراجم أساتذتي الحضريين و كتاب منية المتطلعين.

- جانب التراث الشعبي ومثاله كتاب ألفاظ العربية في الشلحية السوسية. وكتاب أمثال الشلحيين وحكمهم نظما و نثرا.
- جانب الرحلات ومثال ذلك كتاب خلال جزولة بأجزائها الأربعة ، وكتاب رحلة الحمراء إلى الغ.
- جانب المذكرات ومثاله كتاب الالغيات بأجزائها الثلاثة وكتاب ذكريات الإخوان([91]).

وسأقوم بذكر لائحة من مؤلفاته التي وقفت عليها وهي كما يلي:

1) – آثار سيدي محمد بن عبد الله الناصري ،مخطوط يقول العلامة سيدي المختار السوسي:"إن **بين أيدينا كثيرا من آثاره ولو اتسع وقتنا لجمعنا فيه مؤلفا**" ([92])

---

[88])سنتطرق لاحقا للحديث عنه

[89]) نوقشت برحاب كلية الآداب جامعة عبد المالك السعدي بتطوان، شعبة اللغة العربية وآدابها، وحدة البحث والتكوين :الأدب العربي بالمغرب على عهد الدولة العلوية، أطروحة لنيل الدكتوراه في الآداب، من انجاز الباحث أحمد السعيدي في موضوع "مترعات الكؤوس في آثار طائفة من أدباء سوس، للعلامة محمد المختار السوسي، تحقيق ودراسة"، وذلك يوم الثلاثاء 13 أكتوبر 2009. وبعد المداولة تم منح الباحث درجة الدكتوراه في الآداب بميزة مشرف جدا مع التوصية بالطبع.

[90]) سنتطرق لاحقا للحديث عن هذا المحور

[91]) أحمد الماجد، مقال :"المختار السوسي نجمة متلألئة في سماء سوس العالمة"، بدون تاريخ ولا مكان

[92]) المعسول ج11، ص315-316

2) – اتحاف النبيه في بعض مآثر سيدي أحمد الفقيه ،مخطوط في سيرة هذا الشيخ الجليل وهو من أصحاب والده، ويقو رحمه الله انه رأى العجائب في تيسير جمعه في يومين ، ويحتوي المخطوط كذلك على مقالة له وهي تحت اسم:"معنى الولي في الشرع" نشرها ضمن رسالة والده الشيخ الالغي " عقد الجمان لمريد العرفان).

3) – الإجازات الموجز بها،مخطوط([93]).

4) – الأجوبة الحاضرة البادية في تفضيل الحاضرة اليوم لمثلي على البادية،مخطوط، كتب هذه الرسالة تنبيها لابن عمه سيدي عبد الله بن إبراهيم الالغي ،وهي رسالة يعارض فيها جزءا من رسالة اليوسي الى المولى اسماعيل ([94]).

5) – أحاديث إذاعية باللسان الأمازيغي السوسي في الفقه والعقيدة والمعاملات....و عددها 90 ، ومدة كل حلقة من 10 إلى 15 دقيقة، سجلها في بداية الستينات و بثت من الإذاعة المركزية بالرباط.

6) – أخلاق العلماء،مخطوط([95]).

7) – أخلاق وعادات سوسية أو أحاديث سيدي حمو الشليحي ، مخطوط.

8) – أدبيات و رسائل وقت الوزارة في الأوقاف، مخطوط([96]).

9) – أدوار سوس التاريخية، مخطوط.

10) – الأربعين النووية، مترجم إلى الأمازيغية، مخطوط

11) – أسانيد و إجازات سوسية ، مخطوط.

12) – استجوابات اذاعية.

13) كتاب الأفنان لمحمد الأكرازي، مخطوط.

14) – أصفى الموارد في تهذيب نظم الرحلة الحجازية للشيخ الوالد ([97])

15) – أعراف الغ و ما اليها، مخطوط.

---

[93]) وقد أورد نجله الأستاذ رضى الله عبد الوافي في كتاب دليل المرلفات أن عددها هو 16كتاب السيرة الذاتية ان عددها هو 18 وقد أضاف عميد المؤرخين المغاربة الأستاذ محمد المنوني ثلاثة أسماء لعلماء آخرين أجازوه .

[94]) انظر: ج2، من كتاب الالغيات، ص(100-135)

[95]) معتقل الصحراء،ج1، ص204-205.

[96]) وهو عبارة عن رسائل وقصائد تهنئة توصل بها بعد توليه منصبي وزير الأوقاف ووزير التاج.

[97]) مطبعة النجاح الجديدة – البيضاء1381هـ/1961م.

16)– الألفاظ العربية في الشلحة السوسية، مخطوط.

17)– الالغيات([98])

18)– أمثال الشلحيين و حكمهم نظما ونثرا، مخطوط.

19)– أنا و الأدب محاضرة ألقاها بمراكش يوم 24 شعبان عام 1355هـ على ثلة من علماء المدينة، وقد اوض فيه علاقته بالادب ودور شيوخه في هذا المجال ([99]).

20)– الأنوار السنية، مترجم إلى الشلحة السوسية، مخطوط.

21)– ايلغ قديما و حديثا، وهو كتاب حافل بتاريخ دويلة أولاد الشيخ سيدي أمد أو موسى وما جرى في عاصمة رئاستهم قديما وحديثا، وهو أول كتاب طبع بعد وفاته رحمه الله بإذن صاحب الجلالة المغفور له الملك الحسن الثاني ([100])

22)– بين الجمود و الميع، رواية نشرت في أعداد بمجلة دعوة الحق(المغربية)، مابين سنتي 1957-1958

23)– بشارة الزائرين لداود الكرمي،مخطوط.

24)– تأثير العربية في اللهجة السوسية، مخطوط.

25)- تحفة القاضي في بدايات علم الأصول ، مخطوط.

26)– الترياق المداوي في أخبار الشيخ سيدي الحاج علي الدرقاوي. ويضم الكتاب نظرة على نشاط والده الصوفي والتربوي العام . وذيله بما كتبه سيدي مبارك بن علي المحاطي في كتابه " السر الجلي في احوال الشيخ سيدي الحاج علي"([101])

27)– تقييد بعض الرسائل من فقهاء الوقت، مخطوط.

---

[98]) نشره رحمه الله في 3 أجزاء ، طبعة البيضاء،1963م.

[99]) اعتنى بإعداده عبد الله الدرقاوي ابن أخ العلامة سيدي محمد المختار السوسي ، وقد نشر ضمن الكتاب الذي اهدي للدكتور عباس الجراري.

[100]) طبع مرتين في المطبعة الملكية بالرباط، تعليق وتهذيب العلامة سيدي محمد بن عبد الله الروداني

[101]) مطبعة المهدية- تطوان،1380هـ/1960 . وللاشارة فقط اشرف رحمه الله بنفسه على طبعه ونشره.

28)– تقييدات على شرح الكشاف للزمخشري، مخطوطة بخزانة جمعية علماء سوس بتارودانت تحت رقم: ك 98، و نشر عنها الراجي التهامي الهاشمي مقالا في مجلة الإيمان، ع2، ص: 52 – 55، الرباط، السنة 3 ذي الحجة 1385هـ/فبراير1966م.

29)– تكوين البذرة الوطنية الأولى، مخطوط عبارة عن محاضرة القاها بمعتقل اغبالونكردوس([102])

30)– توفيق الرحمان إلى مراجعة القرآن ، مخطوط.

31)– التريدة في شرح قصيدة العصيدة، قصيدة نشر تحليلها وشرحها في الجزء الاول من كتاب المعسول ص(47-52)

32)– الثوار السوسيون، مخطوط عبارة عن محاضرة تضم 20 من هؤلاء الثوار كان قد ألقاها في بعض النوادي الأدبية، وقد وردت على حد تعبيره في كتاب سوس العالمة ص223، وفي كتاب المعسول، ج14، هامش ص26.

33)– جوف الفراء، مخطوط.

34)– حقائق عن تندوف المغربية المحتلة، مقال نشر في جريدة صحراء المغرب، السنة 1، العدد 6 بتاريخ 6 مارس 1957م، و جريدة الرسالة في 26 أبريل1984.

35)– حلقات، نشرت بمجلة دعوة الحق المغربية.

36)– حول مائدة الغذاء،هي ذكريات أملاها الباشا ادريس منو على المختار السوسي عن الحكومة الحسنية والأدوار التي يعرفها إذ ذاك،فسجل عنه بعضها مباشرة في جلستين ولم يتم التسجيل الى أن نفي إلى إلغ، فسار يسترجع ما عرفه من الباشا فدون ماهو موجود الآن في الكتاب ([103])

37)– حياة الشيخ الوالد، مخطوط وهو أول كتاب اشتغل بتاليفه، فقد كتب في طرة الصفحة الأولى:"كنت ابتدأت هذا المؤلف أعوام 1340هـ، وهذا هو نفسي آنذاك وهذه هي نظرتي 4-12-1356هـ- المختار)، وهذا المؤلف الصغير هو البذرة الأولى لكتاب من أفواه الرجال . وقد ذكر رحمه الله في كتاب المؤلفون السوسيون أنه كان قد كتب ترجمة لوالده لبعض الأفاضل في 12 صفحة ثم انتقدها منتقد فلخصها للنصف وأعطاها لذلك الفاضل.

38)– خطب الأعياد، مخطوطة.

39)– خطبة تدشين مدارس ابن دغوغ، مخطوطة وقد ألقاها باعتباره رئيسا للجنة المشرفة على بناء هذه المدارس بمراكش على مسامع المغفور له السلطان محمد الخامس طيب الله ثراه يوم تدشينها([104])

---

[102]) انظر: معتقل الصحراء، ج1، ص204.

[103]) مطبعة الساحل، الرباط، 1983. وقد ترجمه مركز طارق بن زياد بالرباط إلى اللغة الفرنسية ونشره باتفاق مع أبناء المؤلف.

40) – خطب الجمعة، مخطوطة.

41) –خطاب الدورة الخامسة لمؤتمر العالم الإسلامي ألقاه ببغداد نهاية سنة 1381هـ([105])

42) – الخطب الإذاعية([106]).

43) الخطبة المذياعية حررها أواسط جمادى الأولى 1359هـ([107])

44) خطب دار الباشا مخطوطة ([108])

45) – خلال جزولة ([109]) .

46) ديوان الزهر البليل فيما نفث به الفكر الكليل مخطوط

47) ديوان قصائد مخطوط.

48) ديوان التلميذيات مخطوط.

49) ديوان معتقل الصحراء

50) ديوان الشيخ الالغي مخطوط

51) – دروس في التصريف، مخطوط جمع فيه حوالي 26 درسا حاول فيها استخلاص كل ما يهم تصريف الافعال والمصادر والمشتقات([110]) .

52) – دروس في النحو البسيط، مخطوط([111]).

53) – دروس في اللغة والآداب، مخطوط([112]).

---

[104]) ج1، ص10-11 من كتاب معتقل الصحراء.

[105]) نشر بجريدة التجديد، العدد1151، الجمعة والأحد 13-15 ماي 2005.

[106]) منشورة في موقع http://www.mokhtarsoussi.com/index.php

[107]) انظر نصها كاملا في ج2 من كتاب الالغيات، ص65-99،

[108]) يذكر نجله انه لا يتوفر على اية نسخة منها ولا يعرف عددها ويؤكد انها ربما تكون ارتجالية. وانظر: دليل مؤلفات المختار السوسي، ط2، ص30.

[109]) نشره رحمه الله في 4 أجزاء،مطابع المهدية بتطوان 1961م-1963م.

[110]) انظر : معتقل الصحراء،ج1، ص196، وكذلك الالغيات، ج3،ص195.

[111]) انظر : معتقل الصحراء،ج1، ص200.

54)– دروس ملحقة للقواعد، مخطوط([113]).

55)– ذكريات([114]).

56)– رحلات العلوم العربية في سوس ([115])

57)– الرحلة الأميرية([116]).

58)– الرحلة الأولى للحواضر([117]).

59)– الرحلة التونسية، مخطوط.

60)– الرحالة الحجازية،مخطوط.

61)– الرحلة الوزيرية([118])

62)– الرد على كولان، مخطوط

63) رسالة الشباب ، رواية مخطوطة كتبها في منفاه بإلغ ضاعت منه على حد تعبيره.

64)– الرسائل المختارية، مخطوط جمع في كل الرسائل التي توصل بها أو التي أرسلها .

65)– الرسالتان البونعمانية و الشوقية، كان قد سماها في بداية الأمر (نجوى الصديقين)، وقد أخرجها على حد تعبيره كتتمة للرحلة الأولى من رحلات خلال جزولة([119])

66)– الرؤساء السوسيون، تتبع فيه كثيرين ممن لهم رئاسة كالقيادة والمشيخة في العهود الاخيرة من اواخر القرن 13 هـ إلى النصف الأول من القرن الذي يليه([120])

---

[112]) انظر : معتقل الصحراء،ج1، ص200.وللاشارة فقط فكل هذه الدروس كان قد القاها على المعتقلين معه في معتقل اغبالو نكردوس.

[113]) انظر : معتقل الصحراء،ج1، ص200

[114]) مطبعة الساحل – الرباط،1984م.

[115]) طبع سنة 1989م، دون اسم المطبعة.

[116]) نشرت بمجلة المناهل (المغربية)، عدد خاص بالعلامة السوسي عام 2005م.

[117]) نشرت في كتابه "الالغيات"،ج3،ص:209 و ما بعدها.

[118]) نشرت في جريدة التجديد، أيام الجمعة – الأحد، بتاريخ 20-22 ماي 2005.

[119]) مطابع المهدية ، تطوان، بدون تاريخ.

67)– الرياضة في الإسلام، مخطوط.

68)رجالات العلم العربي في سوس، وهو فهرس لعلماء سوس مرتب على الطبقات ، من القرن 5 هـ إلى القرن 14، ويضم تراجم مختصرة لازيد من 1815 عالم وعالمة،بما فيهم كبار الصوفية والقراء.

69)– سوس العالمة، طبع مرتين([121])

70)– الصالحون المتبرك بهم في سوس، مخطوط يضم حوالي 60 ترجمة لأولياء الله الصالحين، ولم يسعفه الحظ لإتمامه على د تعبيره.

71)– طاقة ريحان من روضة الأفنان، هو مختصر لكتاب العلامة الإكراري الذي طبع مؤخرا روضة الأفنان في تراجم الأعيان ([122])

72)– العرشية النبوية الكبرى، قصيدة مخطوط طويلة لم يتممها على حد تعبيره.

73)– عقود العقيان في إجازتي للإخوان، مخطوط. ([123])

74)– علماء تافيلالت، وهو مخطوط في كناشة خاصة به أسماء وتراجم صغيرة لعلماء تافيلالت، أورد فيها 37 ترجمة وتوقف عند الرقم 38 ، والغالب على الظن أنه كتبه عند إحدى زياراته لتافيلالت([124])

75)– علماء لامعون من سوس أخذوا من القرويين، وعددهم 61 عالما ، وهو مقال نشر في الكتاب الذهبي جامعة العروس (القرويين)، في ذكراها المائة بعد الألف سنة 1960م، ص:115-117. وللعلامة المختار السوسي مختصر لهذا الكتاب سماه طاقة ريحان من روضة الأفنان([125])

76)– العهد المريني، مخطوط عبارة عن محاضرة ألقاها بفاس بالمدرسة الناصرية ([126])

77)– على قمة الأربعين ([127])

---

[120]) هيأه للطبع نجله رضى الله عبد الوافي المختار السوسي، تقديم عبد الكبير العلوي المدغري، مطبعة المعارف بالرباط، 2010م

[121]) قام بطبعه رحمه الله في جزء وتمت إعادة طبعه مرة ثانية، مطبعة فضالة المحمدية – المغرب، 1960م

[122]) مطبعة الساحل ،الرباط، 1983م.

[123]) جمع في مجلدة خاصة كل الإجازات التي أجاز بها طلبته ، وكل من طلبها منه ،وأولها الإجازة التي اجاز بها السيد ادريس ابن الحاج الوعلي الصوابي وهي مؤرخة بتاريخ 5 ذي الحجة 1361هـ.

[124]) وانظر: الرحلة الوزيرية والرحلة الأميرية المذكورتين

[125]) وانظر سوس العالمة ص215.

[126]) انظر: معتقل الصحراء، ج1،ص204. والرد على كولان المذكور سابقا.

78)– في النقد والأدب : وهي عبارة عن أربع مقالات طويلة أبدى فيها رأيه في النقد الأدبي، وتناول فيها كذلك تحليله لعدد من القصائد العرشية لسنة 1949 م ([128]).

79)– قطائف اللطائف، مخطوطة.

80)– اللبابة في شرح قصيدة بابة، وهي قصيدة مخطوط في مدح النبي صلى الله عليه وسلم.

81)– لنكن مسلمين أولا، مقال نشر في مجلة دعوة الحق في السنة 1 عام 1957م، العدد 2.

82)– ماضي سوس العلمي، محاضرة ألقيت بمعهد محمد الخامس بتارودانت، نشرت في مجلة المناهل بالعدد الخاص عنه عام 2005م.

83)– مترعات الكؤوس في آثار طائفة من أدباء سوس، مخطوط في جزئين([129])

84)– المجموع الكبير في الظهائر و المراسلات الرسمية، مخطوط.

85)– المجموعة الالغية في الآداب و الآثار، مخطوط في جزئين في اكثر من 500 صفحة

86)– مجموعة فقهية في الفتاوي السوسية([130])

87)– مجموعة في أنساب السوسسين، مخطوط في المشجرات السوسية نشر منها البعض في موسوعته المعسول.

88)– مجموعة الدروس المختارية، مخطوط.

89)– مجموعة فيما حضرني عن سلجماسة،مخطوط كتبه بمنفاه بتنجداد ليرسله إلى بعض المؤرخين كتذكرة من غريب.

90)– مجموعة في المحاضرات الرمضانية،مخطوط.

91)– محاضرة في الثوار السوسسين، مخطوطة.

---

[127]) نشر في الجزء 1 من كتاب "الالغيات"، ص: 207-232.

[128]) نشرها في جريدة رسالة الأمة سنة 1950، شهري فبراير – مارس ، اعداد (49-50-51-52).

[129]) حقق في إطار بحث لنيل شهادة الدكتوراة في شعبة اللغة العربة، إنجاز الطالب احمد السعيدي، تحت اشراف الدكتور جعفر ابن الحاج السلمي،تطوان، 2009.

[130]) مطبعة النجاح الجديدة – البيضاء،ط 1، 1995م.

92)– محمد العالم بن مولاي إسماعيل، مخطوط وهو عبارة عن محاضرة ألقاها في تونس سنة 1367هـ أثناء حضوره لمؤتمر الحرمين الشريفين

93)– محمد المختار السوسي في ذكراه الأربعين، مخطوط.

94)– المختار من شعر السوسي المختار، مخطوط.

95)– مدارس سوس العتيقة: نظامها و أساتذتها، طبع بتطوان، ط1، عام 1987م.

96)– مدن سوس الموجودة و المندثرة، مخطوط جمعها لبعض الناس على حد تعبيره

97)– مذاكرة الشيخ الجليل في البحث هل يوجد للقتل حد لتارك الصلاة كسلا من دليل ([131])

98)– مذكرات في المعتقل([132])

99)- مراكش غي عصرها الذهبي، مخطوط بدأ في جمعه رحمه الله منذ سنة 1354هـ لاظهار مراكش وعظمتها ايام اللمتونيين والموحدين.

100) – مشيخة الالغيين من الحضريين او تراجم أساتذتي الحضريين: مراكش- فاس – الرباط، وهو فهرس موسع لتراجم أساتذته الحضريين بالمدن المذكورة([133])

101) – معتقل الصحراء في جزئين: الجزء الأول عبارة عن مذكراته في المعتقلين ووصفه لحياته، مع إدراج عدد من القصائد. أما الجزء الثاني فقد ترجم فيه لكل من اعتقلوا معه في معتقل تنجداد ومعتقل أغبالو نكردوس، كابراهيم الكتاني ومحمد الفاسي والمهدي بنبركة وعمر بن الشمسي، وأهمية هذا الكتاب أن تراجمه جمعت من أفواه أصحابها وتختتم في غالبيتها بسؤالهم عن أمنيتهم في المستقبل([134])

102) – المعسول([135])

103) – المقاومون من الجنوب للاحتلال ، مخطوط.([136])

---

[131]) نشره رحمه الله في كتابه " الالغيات"، ج3، ص : 45-60.

[132]) طبعت مع ديوان معتقل الصحراء ، ج 1.

[133]) هيأه للطبع نجله رضى عبد الوافي، تقديم عباس الجراري، الناشر: [د.م.] :[د.ن.] ,2010

[134]) معتقل الصحراء، ج1: مطبعة الساحل، الرباط، 1982، ج2: مراجعة وتقديم: عبد الوافي بن محمد المختار السوسي (نجل المؤلف) الطبعة الأولى: ذو الحجة 1432 مطبعة المعارف الجديدة بالرباط بالمغرب

[135]) طبع في 20ج عن ثلاث مطابع.

[136])ج1 من معتقل الصحراء ، ص207.

104) – ملخص في الأصول، مخطوط.

105) – من أفواه الرجال، مخطوط في 10 أجزاء دون فيه الكثير من اخبار والده ومريديه والرؤساء والفقهاء والصوفية والحوادث والعادات. وغالب الكتاب جمعه المؤلف من أفواه كل من جالسهم اثر نفيه الى قرية بلدته إلغ . ولهذا سماه بهذا الاسم . وللاشارة فقط فالكتاب كان اسمه في اولياته "الفتح القدوسي فيما يتعلق بالشيخ سيدي الحاج علي السوسي وخبر من ينجر اليه الكلام من عالم أو رئيس أو صوفي خوف أن يكون مما تنوسي".طبع منه رحمه الله بحياته 3 أجزاء الأولى وبقية 7 أجزاء مهيأة للطبع تنتظر الفرج عنها.

106) – من الحمراء إلى الغ، أعدها للطبع ابن أخيه عبد الله الدرقاوي.

107) – من ضمير إلى ضمير، رسالة من الحجم الكبير حول االفضيلة كتبها إلى تلميذ أحمد شوقي المراكشي([137])

108) – منية المتطلعين إلى من بالزاوية الالغية من الفقراء المنقطعين، جمع فيه زهاء 170 ترجمة من الفقراء المنقطعين إلى والده ([138])

109) – مواقف مخجلة، مخطوط.

110) – المؤلفون السوسيون ، مخطوط([139]).

111) – نضائد الديباج من المراسلات بين المختار و القباج، مخطوط.

112) – النقد و الأدب، عبارة عن أربع مقالات نشرت في جريدة رسالة الأمة شهري فبراير و مارس، عام 1950م، ع:49-52.

113) – نهضة جزولة العلمية و الدينية في اليوم أو مدارس سوس و العلماء الذين درسوا فيها، مخطوط.([140])

114) – نوازع العربة، رسالة جوابية اخوانية أرسلها إلى شقيقه إبراهيم الالغي، وناقشه في مسائل اخوية ، وبث فيها اشواقه ، وشوقه الى الحرية المطلقة التي يعانيها في غربته بمنفاه بإلغ.([141])

---

[137]) وردت بالجزء 3 من الالغيات، ص 119 و ما بعدها.

[138]) مطبعة المهدية بتطوان،1961م. وللإشارة فقط فقد طبعه رحمه الله في جزء.

[139]) ذكر ووصف فيه رحمه الله عددا كبيرا من المؤلفات السوسية التي بلغت اكثر من 600 مؤلفا ، ورتبه علة القرون وقد نشر بعض أسمائها في كتاب سوس العالمة دون ذكر وصفها.

[140]) قدم فيه نجله رضى الله عبد الوافي المختار السوسي عرضا ضمن أعمال الندوة التي نظمتها جمعية علماء سوس بتزنيت أيام 26-27-28 مارس 2010.

115) – و صف الحضارة بما لها وما عليها، مخطوط. ضاعت منه على حد تعبيره

116) وشي المطارف في ثبوت الهلال بالخبر الرسمي من الهاتف (مخطوط)، وهو عبارة عن فتوى في ثبوت رؤية الهلال بالهاتف كتبها بمنفاه بالغ بعد رمضان 1361هـ

117) وصف الغطريس،هو ملخص لكتاب "نعث الغطريس الفسيس"للمهدي الناصري في أخبار مبارك التوزينيني والانكادي المقاومان للاحتلال في تافيلالت([142])

118) وفيات الرسموكي للرسموكي([143])

119) – الوظيفة: محاسنها و مساوئها ن عبارة عن رسالة على هيئة مقال أرسلها إلى الشاعر الحسن البونعماني يوضح له فيها مساوئ الوظيفة ومحاسنها ([144])

120) – يسر الإسلام و سهولته، مخطوط.([145])

121) كتاب اليعقوبيون مع ذيلين للعربي الأدوزي، مخطوط

2:قائمة لمعظم مقالات العلامة سيدي المختار السوسي :

1. –أحاديث سيدي حمو الشلحي أو أخلاق و عادات سوسية ، مخطوط.

2. –أسانيد محمد يحي الأزاريفي، مخطوط.

3. المطلوب المبغى من أحوال شيخنا سيدي الحاج علي الإلغي، لسيدي ممد بن علي التادلي الحسني الرباطي([146])

4. – تخريج أوراد العربي الأدوزي لولده محمد الأدوزي، مخطوط.

5. –كتاب التاج و الإكليل على مفرق مذاكرة الشيخ الجليل،لأحمد اليزيدي،مخطوط.

---

[141]) انظر: كتاب الإلغيات، ج2، ص136-151.

[142]) انظر النعسول ،ج16، ابتداء من ص 271 – 306.

[143]) مطبعة الساحل ،الرباط، 1988م.

[144]) نشرت بالالغيات، ج 3، ص (63-73)

[145]) مقال: "العلامة محمد المختار السوسي..المدون الحريص على التقييد"،رضى الله عبد الوافي المختار السوسي،جريدة التجديد(المغربية) : 08 - 10 – 2005، وبه قائمة لتقاييد نفائس المخطوطات.
http://www.mokhtarsoussi.com/index.php/articles/31-assoussimodawin

[146]) انظر: كتاب سوس العالمة، ص221، ر. ت 52.

6. – النصف الاخير من كتاب تاريخ آسفي وما اليها للكانوني ،مخطوط.

7. –كتاب تحلية الطروس وبهجة النفوس في مناقب أعيان سوس، لعلي بن الحبيب السكرادي، مخطوط . ([147])

8. –كتاب التعريف بالبلد الثنائية ذات المواهب الربانية، لأحمد الكشطي، مخطوط.([148])

9. –الرحلة الحجازية لأحمد بن عبد الله اليبوركي، مخطوط.

10. – الرحلة الحجازية لعبد الله علي الدرقاوي الالغي، مخطوط. وهي التي نشرت تحت اسم أصفى الموارد السالف الذكر([149])

11. – الرحلة الحجازية لعمر بن إبراهيم الساحلي، مخطوط.

12. – الرحلة الحجازية لمحمد الخليفة بن علي الدرقاوي الالغي، مخطوط.

13. – الرحلة الحجازية لمحمد المز واري التمراوي، مخطوط.

14. – الرحلة الحجازية لسيدي عبد الله بن علي الإلغي

15. – رحلتي السلطان المولى الحسن الأول لسوس، مخطوط.([150])

16. – كتاب الحضيكيون لأبي زيد الجشتيمي ، مخطوط.

17. – ديوان الأمداح الحسنية في السلطان الحسن الأول، مخطوط.([151])

18. – ديوان الحسن التنانِي، مخطوط.

19. – كتاب السر الجلي في أحوال سيدي الحاج علي، لمبارك بن عمر المجاطي، مخطوط.([152])

20. –كتاب شفاء القلوب ومواهب علام الغيوب في اخبار سيدي محمد بن يعقوب، لأحمد بن إبراهيم الركني، مخطوط.([153])

---

[147])انظر : سوس العالمة، ص21'، ر. ت 40.

[148])انظر: سوس العالمة، ص220، ر.ت 48.

[149]) انظر سوس العالمة، ص227، ر.ت83.

[150]) انظر : ص228 من كتاب سوس العالمة، ر. ت 93.

[151]) انظر: سوس العالمة 224، ر.ت 69.

[152]) ص220، من كتاب سوس العالمة، ر. ت 50.

21. – الفتح الموهوب في ذكر مناقب الشيخ المحبوب، لسيدي الطاهر السماهري الأكلوبي ، مخطوط([154])

22. – فهرست ابن عمر الأسغركيسي الييبوركي ، مخطوط.

23. – فهرست محمد بن أحمد الأساوي،، مخطوط.

24. – كتاب الفوائد الجمة المسمى فهرس التمانارتي لقاضي رودانة عبد الرحمان التامَانَارتِي، مخطوط.([155])

25. – قرى العجلان على اجازة الاحبة والاخوان لأحمد بن يعزى الجزولي التملي،مخطوط.

26. – مجموعة من الأشعار الصحراوية، مخطوط.

27. – مذكرة عمر بن ابراهيم الساحلي عن الكفاح، مخطوط.

28. – كتاب المرأة المجلوة في الرحلة إلى الصفا والمروة، لإبراهيم التازروالتي، مخطوط.

29. – كتاب ضوء المصباح في الأسانيد الصحاح، ليحيى بن عبد الله البكراوي الجراري، مخطوط.

30. – مناقب البعقيلي لمحمد البعقيلي([156])

31. – كتاب النور الحنفي في أخبار سيدي الحنفي، لعلي بن محمد الهوا ري السوسي، مخطوط.([157])

32. هز الراية الجعفرية في ذكر أسانيد الطريقة الشاذلية الإلغية، وهي قصيدة للعلامة سيدي ممد بن مسعود المعذري([158])

33. – وظيفة السلطان محمد الشيخ السعدي، مخطوط.

وقد تفرد ولده الأستاذ رضى الله عبد الوافي المختار السوسي بإعادة نشر مختلف الوثائق المتعلقة بهذا العالم الجليل ومؤخرا صدر مؤلف ضم قائمة للإنتاج الفكري للعلامة سيدي محمد المختار ([159])، فقام بجمع مسودات

---

[153]) انظر : سوس العالمة ، ص220، ر.ت 48.

[154]) انظر: سوس العالمة، ص220، ر. ت 51.

[155]) انظر:سوس العالمة ، ص230، ر. ت 104.

[156]) نشر سنة 1987 ضمن سلسلة مصادر المعسول.

[157]) انظر: سوس العالمة ، ص230، ر.ت108.

[158]) انظر: سوس العالمة ، ص221، ر.ت54.

[159]) كتاب دليل مؤلفات ومخطوطات العلامة رضا الله محمد المختار السوسي، أعده ونشره عبد الوافي محمد المختار السوسي، كوبي النور، الرباط http://www.omferas.com/vb/t313522005 .

بعض دروسه الخاصة التي كان يلقيها لتلامذته. ومن شأن هذه المسودات والوثائق أن تكشف لنا جانبا آخر من عطاء هذا الشيخ. ذلك العطاء الذي تميز بالموسوعية التي تجلت في تعدد الحقول العلمية التي عمل على تدريسها كاللغة والآداب والتاريخ والعلوم الشرعية... و لقد نُشِرَتْ له عدة مقالات في عدة جرائد و مجلات وطنية، كجريدة صحراء المغرب و جريدة التجديد و مجلة دعوة لحق و مجلة الإيمان ومجلة المناهل،و هي مقالات تهم عدة مواضيع تتعلق بالهوية المغربية بصفة عامة. وبالنسبة لهذا الإنتاج فقد أنجزت اطاريح جامعية داخل الوطن ونموذج ذلك أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ ، للحسن السكراتي بعنوان: "محمد المختار السوسي (1900-1963) بيوغرافيا ثقافية، جامعة ابن زهر،أكادير، سنة 2004، وهي رسالة مرقونة بخزانة الكلية. وخارجه ونموذج ذلك رسالة الدكتوراه بعنوان:"التعليم والتربية في أعمال محمد المختار السوسي، منطقة سوس في 14هـ/ق20م، وهي باللغة الفرنسية([160]). ويلاحظ أن كثيرا من الدراسات المُنْجَزَة بالجامعات المغربية عنه لم تنشر في معظمها بجانب عدم و جود ترجمة للدراسات الأجنبية عنه كتلك المنجزة بفرنسا و ألمانيا و الولايات المتحدة الأمريكية و اليابان.

و لقد كانت مؤلفات العلامة سيدي محمد المختار السوسي الكثيرة مع غيرها من مؤلفات معاصريه تأسيسا للبحث العلمي الأكاديمي في مجال التاريخ والاجتماع والأدب والثقافة والفكر. و قد تناولت الدراسات والبحوث الجوانب التاريخية والأدبية من إنتاج العلامة السوسي من خلال رسائل وأبحاث جامعية وكتب ودراسات منشورة،فضلا عن عدة ندوات ومؤتمرات علمية .وبقيت جوانب أخرى ما زالت في حاجة للدراسة منها اهتمام العلامة السوسي بالثقافة الأمازيغية سواء من حيث جمع متونها الأدبية أو الدراسات المقارنة حولها أو الترجمة إليها . لقد كان العلامة السوسي مخلصا لمنهج اصطفاه ولمرحلة تاريخية معقدة تميزت بالتدخل الأجنبي في المغرب وتهديد مقومات البلاد وقيمها الإسلامية وثوابتها الوطنية، وكانت أصداء "الظهير البربري" لا زالت ترن في الآذان معلنة عن خطة استعمارية لقطع المغرب عن ماضيه العربي الإسلامي وربطه بالقوميات الأوربية الناشئة في أواسط القرن العشرين الماضي، و تلك القوميات المتعصبة التي أدت إلى تدمير أوربا نتيجة الحرب العالمية الثانية. وكان العلامة السوسي يرى مع زملائه في الحركة الوطنية المخاطر المحدقة من انطماس التراث الأصيل الذي قضى المغاربة دهورا طويلة في بنائه وتنميته ليعبر عن ارتباطهم بعقيدتهم وعن شخصيتهم المتميزة، فعملوا جميعا لأجل الحفاظ عليه من التيارات الفكرية الوافدة الكاسحة وذلك عبر توثيقه وحفظه للأجيال المقبلة التي ستعمل – كما اعتقدوا- على الاهتمام به وإحيائه واتخاذه وسيلة للبناء والتنمية.

ويعد العلامة محمد المختار السوسي في طليعة الرعيل الأول من رجال الوطنية والفكر والثقافة بالمغرب في عهدي الحماية والاستقلال. وقد أهله لشغل هذه المكانة فكره الإصلاحي المتجلي في أعماله العلمية ونضاله الوطني

---

[160] L'ENSEIGNEMENT ET L'EDUCATION DANS L'OEUVRE DE MOHAMED AL-MOKHTAR AL-SOUSSI REGION DU SOUSS (XXème SIECLE). DIRECTEUR DE THESE LE PROFESSEUR JEAN MARTIN
قدمها الطالب:عبد الكبير فوزي،2003، جامعة شارل دوغول – ليل، بفرنسا

من أجل الاستقلال وتنمية بلاده بالحفاظ على قيمها العربية الإسلامية وثوابتها الوطنية وترسيخ سمات الشخصية المغربية الأصيلة المبدعة .وقد تعددت الواجهات التي اهتم بها العلامة السوسي، فمن النضال الوطني إلى الإصلاح الاجتماعي، ومن التأليف التاريخي إلى الإبداع الأدبي، ومن التصنيف العلمي الشرعي إلى التربية والتعليم، وقد أنتج هذا النشاط الدائب والعمل المستمر مؤلفات تميزت بعمق النظر ودقة التفكير وحسن الترتيب وسعة الإحاطة.

وللإشارة فقط فبالنسبة للمبادئ التي التزم بها المختار السوسي في جمع تراث تاريخ سوس، فتتجلى فيما يلي:

- ضرورة جمع المواد الخام لتدوين التاريخ قبل أن تندثر من جراء التحولات الناتجة عن الاستعمار، كما أن الكتابات الاستعمارية في نظر العلامة السوسي تحاول تشويه ماضينا[161].
- إعطاء الاهتمام للتاريخ الحضاري و القروي الذي لم ينل الاهتمام من قبل المؤرخين الأوائل[162].
- الاهتمام بكل أساليب الحضارة المعاصرة و علومها لأن الحكمة ضالة المؤمن يَلتقطها أنى وجدها[163].
- نظرة المختار السوسي إلى التاريخ الإنساني هي نظرة شاملة، و كان يرى أن الإنسانية جميعا أسرة واحدة، لا فضل فيها لعربي على عجمي إلا بالتقوى[164].

وسنتوقف عند بعض هذه المؤلفات على سبيل الذكر لا الحصر :

أ :نموذج الكتابات المحققة:

❖ 1:تحقيق وترجمة كتاب الأربعين حديثا النووية إلى الأمازيغية السوسية (تاشلحييت):

اهتم العلامة محمد المختار السوسي بالثقافة الأمازيغية سواء من حيث جمع متونها الأدبية أو الدراسات المقارنة حولها أو الترجمة إليها. وذلك انطلاقا من تصوره الفكري الذي عمل على أساسه، وهو إبراز ارتباط المغاربة جميعا والسوسيين بالتحديد بالإسلام عقيدة وشريعة وشغفهم باللغة العربية دراسة لقواعدها وإبداعها فيها، ومن مؤلفاته في هذا المجال ترجمته لكتاب الأربعين حديثا النووية إلى الأمازيغية السوسية.

ويعد كتاب الأربعين حديثا للإمام أبي زكرياء يحيى ابن شرف النووي المشهورة بالأربعين حديثا النووية من كتب مختارات الأحاديث التي سار فيها المؤلف على منهج سابقيه في جمع أربعين حديثا في أصول الدين أو في الفروع أو في الجهاد أو الزهد أو الأخلاق أو الخطب، وقد قال في مقدمتها: "وقد رأيت جمع أربعين أهم من هذا كله، هي أربعون حديثا مشتملة على جميع ذلك، وكل حديث منها قاعدة عظيمة من قواعد الدين، وقد وصفه العلماء بأن مدار الإسلام عليه، أو هو نصف الإسلام أو ثلثه أو نحو ذلك، ثم التزم في هذه الأربعين أن تكون صحيحة،

---

[161]) انظر الجزء 1 من كتاب "المعسول" ،م.س.

[162]) انظر كتاب "سوس العالمة" ،م.س

[163]) انظر كتاب "المعسول"،م.س،ج1.

[164]) انظر كتاب "سوس العالمة" ،م.س.

ومعظمها في صحيحي البخاري ومسلم، وأذكرها محذوفة الأسانيد، ليسهل حفظها ويعم الانتفاع بها إن شاء الله تعالى".([165]).

وقد لقي كتاب الإمام النووي انتشارا واسعا بين الناس في مختلف البلاد الإسلامية وفي المغرب خاصة فقد اهتم به المغاربة وحفظوه ورواه العلماء بسنده إلى مؤلفه وانبروا لشرح أحاديثه والتعليق عليها، وأدرج في المقررات الدراسية في مختلف العصور الإسلامية، كما جعله الوعاظ مادة لمواعظهم وحثوا الناس على استظهاره .أما في منطقة سوس فلقي الكتاب رواجا كبيرا ورواه السوسيون بالسند المتصل إلى مؤلفه الإمام النووي كما نجد عند أبي زيد عبد الرحمن التمنارتي المتوفى سنة 1060هـ في كتابه "الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة" حيث رواه عن شيخه يحيى ابن عبد الله الحاجي العالم المدرس بالزاوية المنانية الحاجية بأحواز تارودانت الذي رواه بسند متصل بالإمام ابن حجر العسقلاني([166]).

لقد كانت هناك إذن دوافع فكرية وتاريخية مرحلية دفعت العلامة محمد المختار السوسي إلى الاهتمام بالتراث العربي الإسلامي في منطقة سوس عوض العناية بنظم النظامين السوسيين بالأمازيغية والتعريف بهم، فجعل الأولوية للأهم قبل المهم، ولما ينبغي استدراكه قبل ضياعه مما يمكن تأجيل الاشتغال به لينهض بعبء توثيقه وضبطه وجمعه ونشره بعد الاستقلال من آنس من نفسه الكفاءة والقدرة، حينما تنتقي الموانع من الاهتمام به ويصبح في نظر المغاربة تجليا من تجليات التراث والثقافة الإسلامية المغربية الأصيلة باللسان الأمازيغي في مختلف جهات المغرب، عوض أن يكون كما في نظر الدارسين الغربيين مظهرا من مظاهر الفكر والإبداع خارج نطاق العقيدة والقيم الوحدوية للمغاربة .غير أن ما ينبغي أن نشير إليه أن العلامة محمد المختار السوسي لم يهمل الثقافة الأمازيغية ولم ينسلخ من طينته التي نشأ عليها في قريته بدوكّادير إلغ، بل اهتم بما أمكن له منها انطلاقا من تصوره الفكري الذي عمل على أساسه، وهو إبراز ارتباط المغاربة جميعا والسوسيين بالتحديد بالإسلام عقيدة وشريعة وشغفهم باللغة العربية دراسة لقواعدها وإبداعها فيها، ومن مؤلفاته في هذا المجال نذكر :

- ✓ الألفاظ العربية في الشلحة السوسية: وهو مقال نشره بمجلة اللسان العربي عدد فيه مظاهر تأثر الأمازيغية السوسية بالألفاظ العربية الكثيرة التي اندمجت فيها وانسجمت معها إلى أن صار الناس يستعملونها حتى في المناطق الجبلية الأكثر عزلة.
- ✓ أمثال الشلحيين وحكمهم نظما ونثرا، مجموع أمثال بلغت 1500 مثل جمعها فاستعارها منه الكولونيل جوستينار وترجمها إلى الفرنسية ونشرها ببعض المجلات الفرنسية ثم أملاها على زميله في معتقل أغبالو نكردوس محمد الفاسي .

---

[165]) شرح الأربعين النووية، يحيى بن شرف الدين النووي، ص: 6- 7 مكتبة وراقة التوفيق.

[166]) الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة، عبد الرحمن التمنارتي، ص .230 :تحقيق الدكتور اليزيد الراضي، منشورات السنتيسي الدار البيضاء 1999.

✓ حديث سيدي حمو: مؤلف حول العادات والتقاليد والأخلاق والحياة الاجتماعية في سوس نشر نجل المؤلف عبد الوافي السوسي مقدمته بجريدة التجديد العدد 1171بتاريخ الجمعة 2 جمادى الأولى 10/142 يونيو 2005 .

✓ قطائف اللطائف: مؤلف للحكايات والنوادر السوسية التي تبرز الحياة الاجتماعية في المنطقة.

✓ ترجمة كتاب الأنوار السنية في الكلمات السنية لمحمد بن أحمد بن جزي الغرناطي إلى الأمازيغية السوسية. و من خلال كل ما مرّ نرى أن العلامة محمد المختار السوسي قد أدلى بدلوه في الاهتمام بالثقافة الأمازيغية من خلال هذه المؤلفات وقدم لها ما لم يقدمه أي أحد من معاصريه، والظاهر أن الذين ينتقدونه إنما يؤاخذونه على شدة اهتمامه بإسهام المغاربة عامة والسوسيين بصفة خاصة في خدمة الثقافة الإسلامية، مقابل قلة اهتمامه بما كتب بالأمازيغية من أشعار وحكايات فيلزمونه بما لم يلزمه به نفسه ويحاكمونه بناء على ذلك محاكمة جائرة لا أثر فيها للمقياس العلمي ولا تثبت ولا استدلال([167]).

ب: نموذج الكتابات التاريخية:

❖ **1:المعسول**: ان المستقرئ لكتابات محمد المختار السوسي – ذات الحضور التاريخي- ، بما فيها كتاب "المعسول"([168]) ككتاب تاريخ يدوين كل ما مر به من وقائع وأحداث وإن كانت عابرة، وما صدر عنه من مواقف ومنظومات تفاوتت شعريتها موجها في المقام الأول إلى خدمة التاريخ بمفهومه الواسع ([169])،سيجد أنه اتبع أسلوبا جديدا في التأريخ لسوس، "فهو لم يتبع (في تصنيف المعسول) أسلوب كتب الوفيات التي لا تجمع بين المدرجين فيها غير سنة الوفيات، ولم يتبع أسلوب الطبقات المهلهل أحيانا بتوزيع المترجمين حسب المذاهب أو الفنون، ولم يلجأ إلى أسلوب الحوليات ليخلد ذكر قريته وأهلها لأنه مقتنع، على ما يبدو، بأن منهج الحوليات أكثر توافقا مع الحوادث السياسية الكبرى المرتبطة بالدولة، وبعدها لم يكن ينتظر من المؤلف أن يتبني ما يسمى اليوم "بالإشكالية الاجتماعية" لينظم بها تاريخ "إلغ" وما ارتبط به من أنحاء القطر السوسي على صعيد الثقافة والدين والسياسة والمجتمع، ولكنه سعى إلى أن يجمع أطراف التاريخ السوسي المرتبطة بـ"إلغ" كمركز للإشعاع العلمي والصوفي([170]) .

---

[167]) مقال:" محمد المختار السوسي والثقافة الأمازيغية"، المهدي بن محمد السعيدي،منشورات كلية الاداب ابن زهر، اكادير

[168]) المعسول في الإلغيين وأساتذتهم وتلامذتهم في العلم والتصوف وأصدقائهم وكل من إليهم.،وهو في20 جزءا و تُكَونُ في مجموعها 8000 صفحة ،صدرت تباعا ما بين سنة 1960 و1963 عن مطابع النجاح الجديدة و الجامعة في البيضاء، و في مطبعة فضالة بالمحمدية،وهو موسوعة تراجم لنحو 4000 من العلماء والفقهاء والأدباء والرؤساء. يجِدُ فيها الباحث كل ما يُرِيدُ مَعْرِفَتَه عن سوس من النواحي الاجتماعية و الأدبية و الثقافية والسياسية و التراثية و غيرها، و به العديد من الآثار و الوثائق الهامة.

[169]) محمد زنيبر، مقال:"إستراتيجية الكتابة في مذكرات محمد المختار السوسي"، مجلة المناهل، العدد 76/75، رمضان 1426هـ/ أكتوبر 2005 ص 212-213.

[170]) احمد التوفيق،مقال:" التاريخ في الزمن المعسول"، ضمن اعمال ندوة المختار السوسي الذاكرة المستعادة، نظمها اتحاد كتاب المغرب بتعاون مع المجلس البلدي بأكادير، أيام 21/22/23دجنبر 1984، ص 72.

ولا يمكن النظر لهذا التأليف إلا في إطار حركة التعريف بالمناطق المغربية المختلفة ثقافة وحضارة ، وجغرافية ، وتاريخا ، وأدبا ... تلك الحركة التي نشطت في النصف الأول من القرن العشرين([171]).وجل الباحثين يؤكدون على هذه الأهمية للكتابة الإقليمية في التعريف بما تختص به الجهات في المجالات العلمية والثقافية المختلفة . يقول الأستاذ عباس الجراري: {**كلما قسم نطاق الإقليم في الدراسة إلى بيآت صغيرة كانت دراسة الإقليم مكتملة ومستوفاة، وهذا ما يجعلني أحبذ الأبحاث والتواريخ التي ألفت وتؤلف ، ولو بطريقة قديمة ، عن مدن كمراكش، وسوس، وتطوان، والرباط، وفاس... ، فإنه من مجموع هذه الكتابات يمكن تهييئ المادة التي قد تساعد على استخراج الصورة الحقيقية للمغرب سواء في تاريخه السياسي أو الفكري** }([172])

و كان المختار السوسي نفسه كان مقتنعا بأن الكشف عن التراث الوطني ، والتعريف بأعلامه ، والوقوف على مجالات الإبداع والابتكار فيه ، لا يمكن أن يتم ذلك دفعة واحدة وبطريقة مجملة ، بل {**لا يمكن أن يتكون تكونا تاما إلا من التواريخ الخاصة لكل حاضرة من تلك الحواضر ، ولكل بادية من البوادي** } ([173]) .لذا يحذر مما يمكن أن تفهم به هذه الكتابات على أنها نوع من النعرات الضيقة ، أو من العنصرية الممقوتة التي فشل المستعمر من قبل . بكل وسائله في نشرها بين القبائل وتركيزها في النفوس والضرب على وترها فيقول رحمه الله: {**لجعل المغرب أشلاء ممزقة** }([174]). ومن هذا المنطلق فكتبه الكثيرة عن سوس ، والتي تربو على السبعين كتابا ([175]) تسد فراغا كبيرا كان يستشعره الباحث في تاريخ هذه المنطقة . وفي هذا الاطار يقول في مقدمة كتابه المعسول: {**وأنا لا أزعم في هذا الكتاب إلا أنه مجموعة مهيأة لمن يستقي منها غدا ما يريد ، ولذلك أحرص على ذكر العادات وطرائف الأخبار ، والنكات الأدبية ، والقوافي** }([176]) ، يتعلق الأمر إذن بموسوعة شاملة لا تهمل أي شيء من تاريخ الإقليم ، وتراثه ،وثقافته ، وملامحه الفكرية والعلمية والأدبية ؛ إذ لا سبيل لكتابة تاريخ وطني دون استجلاء عناصر هذا التاريخ في الأقاليم والجهات ، ومحمد داود أيضا حين أقبل على كتابة تاريخ تطوان كان مدركا صعوبة كتابة التاريخ العام للمغرب قبل التوفر على المعلومات والأخبار والوثائق التي يزخر بها تراث الأقاليم المختلفة ([177]) ومع ذلك فانكباب المختار السوسي على هذا المشروع ، وانشغاله به دون سواه في الكتابة والتأليف ، ربما

---

[171]) انظر الحسن شاهدي ،:"أدب الرحلة بالمغرب " مجلة دعوة الحق س 20 ع 2 . 3 ربيع الثاني 1399 هـ مارس1979 م، ص 87 . 92،س22 ع4 شعبان / رمضان 1401 هـ يونيو /يوليوز1981 ص80 . 88

[172]) كتاب الأدب المغربي للأستاذ عباس الجراري ،ط 2 .المعارف، الرباط ،رجب 1402 / ماي 1982 ،ص 8.

[173]) كتاب سوس العالمة، للمختار السوسي ، ط2 ،بنشرة ، البيضاء، 1404 هـ / 1984 ،ص أ.

[174]) نفسه ص ب.

[175]) مقال عبد الله الدرقاوي ضمن كتاب زهرة الآس المهدى للأستاذ الجراري .دار المناهل ، الرباط 1997 ، ج2، ص725

[176]) المعسول للمختار السوسي، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء،1960 ،من المقدمة ، وأيضا مقال الأستاذ المحمدي في ندوة المختار السوسي ، مطبعة النجاح، 1987 ،ص 84

[177]) كتاب تاريخ تطوان، لمحمد داود ، مطبعة كريماديس ، تطوان 1: 25

أملته عوامل متعددة في مقدمتها تعلقه بمسقط رأسه ، وسعيه للرفع من شأنه وإبراز مآثره كما يبدو مما عبر عنه وقد أشرف على الانتهاء من موسوعته المعسول ([178])

ولعل الهدف من التأليف هو الذي رسم طريقته وحدد منهجه ، فكتابات السوسي لا تتبع الانتقاء والاختيار ، بل تسعى إلى جمع الأخبار والنصوص والوثائق في السياسة والاجتماع والثقافة والأدب (**فمهمته الأولى هي توفير المادة الخام ، أما عملية التحويل والصياغة ومناقشة الأفكار فيرى أنها تأتي في المراحل القادمة ومن هنا نصادف أخبار الفقهاء والأدباء والصوفية والأولياء**)([179])

وهكذا أدرك أن هذا الهدف لا يمكن تحقيقه إلا بإعمال الرحلة والتجوال للقاء العلماء ، وزيارة مراكز العلم والثقافة والتصوف ، كالمدارس والمكتبات والزوايا ، فبدا المعسول وكأنه رحلة تتلاحق مراحلها ومشاهدها لتنتظم القطر السوسي بكامله ، حواضره وبواديه ، فجل مصادر مواده (من أفواه الرجال) كما يعلن في أكثر من مرة ، فالنفس الرحلي باد في كل ما أثبته في هذا الكتاب من تراجم أعلام ، وأخبار ، وقضايا ... وهو نفسه يعده سبب الرحلة ونتيجة لها ، ويعتبره أوفى تآليفه في الاستجابة لتطلعات القارئ الباحث وتساؤلاته ، كما يعبر عن ذلك في آخر رحلته من الحمراء إلى إيلغ بقوله: { **وبعد فإنني وفيت بما كنت وعدت به رفاقي في تقييد هذه الرحلة ، فإن كان القارئ لا يرى فيها ما يراه في الرحلات فلينتظر حتى يطالعه ما أمامه من الذيل الطويل الذي سيكتب فيه بحول الله ما لم يجمع قبل اليوم في كتاب** } ([180])، ويقصد بالذيل الطويل كتاب المعسول ا لذي يقع في عشرين جزءا

وإذا تتبعنا كتابات محمد المختار السوسي بحثا عن منهجه التاريخي، فسنجد سواء في "المعسول" أو في "خلال الجزولة" أو "سوس العالمة"... أن "محمد المختار السوسي من حيث الشكل الذي قدم به تاريخ سوس ظل وفيا للاتجاهات التقليدية التي ظلت متبعة في كتابة التاريخ ليس في المغرب فحسب، وإنما في سائر أنحاء العالم الإسلامي"([181])

❖ 2:خلال جزولة: ويضم كتاب خلال جزولة ([182]) خمسا من الرحلات ، وهي كلها منطلقة من إيلغ مسقط رأسه ومعتقله كذلك و هي كما يلي :

---

[178]) المعسول 20: 284

[179]) الحسن شاهدي ،"أدب الرحلة بالمغرب"،مجلة دعوة الحق، س 20 ع2. 3 ص 991

[180]) المختار السوسي – رحلة من الحمراء إلى إيلغ – ضمن كتاب – التاريخ والفقه – أعمال مهداة الى محمد المنوني – منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط – الطبعة الاولى – 2002، ص 312

[181]) علي المحمدي، مقال:"مشروع إعادة كتابة تاريخ المغرب في تصور محمد المختار السوسي"، ضمن اعمال ندوة محمد المختار السوسي الذاكرة المستعادة، نظمها اتحاد كتاب المغرب بتعاون مع المجلس البلدي بأكادير، أيام 23/22/21 دجنبر 1984، ، ص 83. وانظر :مقال خالد صقلي،" أهمية الإنتاج الفكري للعلامة المختار السوسي في الحفاظ على الهوية وتحقيق التنمية بسوس"،ضمن اعمال الندوة التي نظمها منتدى الزهراء للدراسات النسائية بالجنوب المغربي، شعبة التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ابن زهر، آكادير، ايام 12-13-14 فبراير 2006

[182]) خلال جزولة ، المطبعة المهدية ، تطوان أربعة أجزاء .وانظر كتاب التاريخ والفقه، ص 269. 270

- 1: من إيلغ إلى تارودانت ، استغرقت شهر ربيع الثاني عام 1361 هـ
- 2: من إيلغ إلى ماسة ، من تاسع ذي القعدة إلى فاتح شهر ذي الحجة عام 1361 هـ
- 3: من إيلغ إلى تامانارت وسكتانة من مفتتح شوال إلى الثامن والعشرين من ذي القعدة
- 4: من إيلغ إلى تزنيت ، فأكادير ، فتارودانت من خامس شوال عام 1363 إلى تاسع محرم عام 1364هـ
- 5: من إيلغ إلى فاس ، فمراكش ، فالبيضاء ، فالرباط ، من المحرم إلى العاشر من رجب عام 1362 هـ
- 6:رحلته {من الحمراء إلى إيلغ } قام بها في شهر جمادى الأولى عام1354هـ / 1937 م وحررها ببلده إيلغ. أما الباعث على الرحلة فهو صوفي كما يذكر في فاتحتها قائلا: { **والحافز إلى هذه الرحلة أصالة هو حضور موسم الفقراء الذي يقام دائما في شهر غشت الفلاحي منذ أقامه الوالد لأتباعه من نحو 1313 هـ/ 1895م ، فلم يزل مستمرا إلى الآن** }([183])
- 7. 10 :هناك رحلات أربع رحلة حجازية ، وثانية داخلية ، وثالثة مغاربية ، ورابعة مشرقية . يذكرها في ذيل له على الجزء الثاني من الإلغيات ([184])
- 11: وهناك رحلة أخرى بعنوان {أصفى الموارد في تهذيب نظم الرحلة الحجازية للشيخ الوالد } قام بها والده إلى الحجاز سنة 1305هـ ، سجلها نظما ، لكن ابنه المختار أخرجها بعد أن نقحها ، وصوب أخطاءها النظمية والمعنوية ، وملأ ثغراتها ، ووضع عنوانها ، فاستحق بذلك أن ينسب إليه تدوينها على الأقل .وفي هذا الاطار يقول في مقدمتها مبينا ما قام به وهو يعدها للنشر :"**رأيت تلك النسخة ربما ألم بها أيضا مسخ النساخ زيادة على عدم تنقيحها أولا ، فجاء بعض أبياتها في شكل لا يمت إلى النظم بسبب ، فأخذتني الغيرة ، فظهر لي أن أخطها بيدي ،وأن أنقح منها بعض أبيات محافظا على الألفاظ ما أمكن ، وأما روحها فهو القطب الذي لا يتزحزح ، على أنني ربما أتم موضوعا قد طرقه ، ثم لم يستتم منه المعنى المراد ، بل يتركه مقتضبا ، وربما تكلم أيضا في مقام كلاما بكيفية لا تناسب الصناعة فأحوله إلى كيفية أخرى أمس بالصناعة، وربما آتي من جديد بذكر حادثة كما هي عادته في مقامات أخرى ، وبذلك كله صار للرحلة رواء يدخلها في عديد الرحلات وهذا كله في الحقيقة قد أنشأها نشئا جديدا** "([185]) .

---

[183]) حقق هذه الرحلة أخيرا ابن أخيه المرحوم عبد الله الدرقاوي ، ونشرت ضمن الكتاب الجماعي المهدى إلى المرحوم المنوني تحت عنوان التاريخ والفقه ص 269 . 313، وعن تحليل الرحلة انظر مقال الأستاذ الحاتمي ضمن أعمال الملتقى الدولي الثالث للأدب الإسلامي ، مطبعة النجاح الجديدة . البيضاء 2004 ص 475 . 484

[184]) الإلغيات 2: 232

[185]) أصفى الموارد للشيخ علي الدرقاوي إعداد نجله المختار السوسي ، ط . النجاح ، البيضاء 1380 ،ص3.وقد ذكرها المرحوم محمد المنوني في كتابه المصادر العربية لتاريخ المغرب،ج 2 ،ص 117 . وتحدث عنها المختار السوسي في كتابه المعسول،ج 1،صفحات 184، 190، 208 . 4: 307 . 310 . 12: 67

ومن خلال هذه الرحلات ، يتبين أن للمختار السوسي تراثا رحليا هاما ، فلا يحضر مجلسا إلا وصفه ، ولا يدخل مدينة إلا وسارع إلى التعرف على أعلامها ، والأخذ عن شيوخها ، ومساجلة شعرائها ، ومراسلة كتابها ، ومناظرة علمائها ، واستجازتهم ... فبدت رحلاته بذلك أشبه بالفهارس والكنانيش. ([186])

❖ **3:سوس العالمة**: ان الكتاب بمثابة مقدمة لموسوعة المعسول وقد اشتمل على نظرة عامة على العلم العربي وأعلامه ومؤسساته في منطقة سوس .وفي هذا الاطار يقول عنه العلامة المختار السوسي في مقدمة الكتاب عن سبب تاليفه:" كان سبب ابتدائي لِمباحث هذا الكتاب أستاذي الجليل علامة الشرفاء، وإمام الكرماء، ابن زيدان، يوم زار سوسا وكتب رحلته السوسية في كراسة، فناولنيها على أن أذيل عليها، وأستتم كل ما يتعلق بالعلوم العربية في كل أدوار التاريخ بسوس، فلم أزل أتوسع في الموضوع حتى صار الموضوع إلى ما يراه القارئ. أفليس من الواجب المتأكد أن يكون الكتاب باسم أستاذنا الجليل ابن زيدان الذي ترك فراغا لَم يُحاول أحد أن يَملأه ولا طمع فيه متطاول؟ والاعتراف من التلميذ لتأثير أستاذه من أدنى واجبات الأساتذة على التلامذة.

إذا أفادك إنسان بفائدة من العلوم فأدِّ من شكره أبدا

وقل فلان جزاه الله صالِحة أفادنيها وخل الكبر والحسدا([187])

وقال في الكلمة التي قدم بها كتابه " سوس العالمة :" **إنني ما عدوت أن جمعت ما تيسر جمعا بسيطا كيفما اتفق، بقلم متعثر، و أسلوب لا يزال يتبع خطا أساليب القرون الوسطى، إلا أنني لا أنكر أنى حاولت فتح**

---

[186]) وهناك أمر يستحق الوقوف عنده والتنويه به ، باعتباره تطورا مهما في التوجه الرحلي بالمغرب ، ذلك أن معظم الرحلات التي أشرنا إليها لم يتم خارج المغرب بعكس ما كان سابقا ،وقد تنبه في دراسة سابقة الأستاذ الحسن شاهدي إلى غياب الرحلات الداخلية بالمغرب في العهود الأولى لكون الإقبال آنذاك كان منصبا على تدوين الرحلات التي ترتاد الآفاق والبلدان البعيدة ، أما الرحلات داخل المغرب فلم تدون إلا من قبل الوافدين غليه من غير المغاربة ، وكان لا بد من طرح التساؤل حينئذ عن أسباب عزوف أصحاب الرحلات الداخلية عن تدوين ملاحظاتهم ومشاهداتهم بالرغم من كثرة تنقلاتهم وزياراتهم لمواقع ومراكز علمية وصوفية في البادية والحاضرة ، وبدا لي من المقارنة والتتبع أن غياب هذه النصوص يكمن في انتفاء عنصر الغرابة والمفاجأة فيها ، فالأخبار والحكايات التي كانت تلقى الاهتمام وتترك أثرا لدى السامعين هي التي تتعلق بالبلدان البعيدة والأماكن النائية ، فرحلة ابن بطوطة لو لم تتحدث عن غرائب وعجائب البلدان القاصية لما كانت لها آنذاك تلك الشهرة في الأوساط الرسمية والشعبية على السواء وفي نظرة سريعة على كتاب {المصادر العربية لتاريخ المغرب للمرحوم العلامة المنوني نتبين هذه الندرة للرحلات الداخلية في العهود السابقة ، إذ لا نظفر طيلة التاريخ الفكري والأدبي بالمغرب . قبل القرن العشرين . إلا بنحو عشر رحلات داخلية بينما كان القرن العشرون زاخرا بهذا النوع من الرحلات ، فأكثر أعلامه كأحمد سكيرج ، ومحمد بوجندار ، وعبد الله الجراري والمختار السوسي . معظم رحلاتهم المدونة تصف مناطق من المغرب بمسالكه ومدنه وأحواله التاريخية والسياسية والاجتماعية والثقافية... انظر: – الحسن شاهدي:أدب الرحلة بالمغرب ، عكاظ . الرباط 1990 م ،ج 2 ،ص318،– محمد المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب ،منشورات كلية آداب الرباط 1983 . 2002

[187])مقتبس من اهداء الكتاب.

الباب فبذلت جهدي، و افرغن وسعي، فكم من غلك لابد أن يقع لي، و كم من تحريف أو تصحيح اسم لا جرم واقع فيه..."([188]).لقد عمل محمد المختار السوسي على بذل جهد تاريخي كبير في التأريخ لسوس عبر تتبع وجمع أخبار قرية "إلغ" ونواحيها، وجمع الوثائق هنا وهناك، واستقصى الرواية الشفوية، والتزم الدقة والصبر والجلد في تقصي الأخبار، وتلك هي مهمة المؤرخ البحاثة، كما صرح بذلك، وهو يتحدث عن ما ينبغي استحضاره أثناء قراءة كتاباته ..." :لكن **لا ينسين (أي القارئ) أنني مؤرخ، وقلم المؤرخ الجماعة كعدسة المصور تلتقط كل ما أمامها حتى ما تقذي العين، فكما تلتقط الإشعاعات الساطعة تلتقط الظلال القاتمة، فإن لم يكن قلم من يجمع للتاريخ كذلك، فإنه قلم التضليل والمسخ للحقائق**"([189])

هكذا كان حرص محمد المختار السوسي على تدوين كل ما مر به من وقائع وأحداث وإن كانت عابرة، وما صدر عنه من مواقف ومنظومات تفاوتت شعريتها موجها في المقام الأول إلى خدمة التاريخ بمفهومه الواسع ([190]). ومنذ أن نشر الفقيه الصوفي الوطني المختار السوسي كتابه " سوس العالمة " ، لا يستحضر الكثيرون منطقة سوس إلا مرفقة بعنوان ودلالات المؤلف المذكور أعلاه . لقد كتب المختار السوسي جزءا من مؤلفاته ، للإبانة عن النبوغ السوسي في مضمار الأدبيات والفقهيات والصوفيات ، في سياق صراع النخب السلفية الجديدة حول الممتلكات الرمزية والرأسمال الرمزي ، وفي سياق ارفاد الوجاهة العلمية لسوس بجينيالوجيا وذاكرة ومتخيل جماعي متوطن جهويا و منتظم في الأفق الكوني للحضارة الإسلامية .

لقد كان المشروع التأريخي للمختار السوسي سواء في (المعسول) و (خلال جزولة) و (الإلغيات) و (سوس العالمة) و (مدارس سوس العتيقة) مشدودا إلى النسق الفكري السلفي و الصوفي، ومرتبطا بتوجهاته المركزية. وعليه ، فلم يكن واردا التعويل عليه ، لتقديم الذاتية السوسية وهي ترتقي المسالك المعرفية والمراقي العلمية ، وتقرأ العلامات الكونية والإمارات التاريخية قراءة نظرية جديرة بالتقدير والاعتبار . لقد حصر المختار السوسي نظره في انبناء المعرفة العربية الإسلامية في الوسط السوسي ، ونوعية ودرجات تعاطي تلك المعرفة العالمة مع الموروث الثقافي السوسي الامازيغي واليات استيعابه وتهذيبه وتكيفه مع المقتضيات الأساسية اللغوية والمعرفية والعقدية للمجال التداولي العربي الإسلامي([191]).

---

[188])من مقدمة الكتاب

[189]) انظر مقدمة كتاب المعسول ج 1.

[190]) محمد زنيبر،مقال:"إستراتيجية الكتابة في مذكرات محمد المختار السوسي"، مجلة المناهل، العدد 76/75، رمضان 1426هـ/ أكتوبر 2005 ،ص 212-213.

[191]) ابراهيم ازروال – وهو رئيس جمعية افا أمازيغ ،اكادير – ، مقال :"من سوس العالمة إلى سوس العلمية "، مجلة الحوار المتمدن -العدد: 2024 بتاريخ 2007 / 8 / 31

❖ **4:إيليغ قديما وحديثا**:و الكتاب([192]) عبارة عن تاريخ إمارة أسستها أسرة شريفة في قلب جبال جزولة السوسية منذ القرن 11 الهجري .ومما يقول العلامة سيدي المختار السوسي في مقدمة هذا الكتاب بعد ما أشار إلى عدم تطاول يده إلى ما كل يريد من مراجع التاريخ و مصادر البحث:" **و هذا كله خير عذر أقدمه للقارئ الذي لابد أن يلمس بيديه نقصا غير قليل إذا ظهرت لعينيه ثلم شتى كلما سار فيه بالمطالعة، و سبر بحوثه المتتابعة بمسبار التمحيص، و لكني ازعم – و ما أبرئ نفسي – أنني فتحت باب الموضوع على مصراعيه** "([193]). ان العلامة المختار السوسي تمكن دون منازع من ناصية البيان، و اقتعد في اللغة العربية أعلى مكان، و رزق موهبة مغبوطة في المنهجية و طرق البحث لتي يعتقد بعض الجامعيين انهم يحتكرونها، و خير مثال لذلك بحثه حول (إيليغ) و تاريخها السياسي و الاجتماعي قديما حديثا([194]). فهو تاريخ حافل جمعه حول دويلة أولاد الشيخ سيدي أحمد أو موسى، وما جرى في عاصمة رئاستهم قديما وحديثا، وهو أول كتاب طبع بعد موت مؤلفه بإذن صاحب الجلالة المغفور له الحسن الثاني طيب الله ثراه.

و بالنسبة لتدوينه لتاريخ سوس يُضيف عميد المؤرخين المغاربة أستاذيمحمد بن عبد الهادي المنوني :" **فكتب ما يناهز خمسين جزءا في تاريخ سوس السياسي و الأدبي و الاجتماعي ، و في تراجم السوسيين علماء وأدباء ورؤساء، و في العائلات العليمة و في الأخبار و النوادر و في ارتساما ته عن رحلاته في نواحي و في ذكريات إليغ**..."[(195)]. ولم يكن المختار السوسي مهتما بتفوق منطقة سوس أو مدفوعا بالعصبية الضيقة أو العنصرية المقيتة بل كان يعتبر أن الوجه الصحيح لكتابة تاريخ الإسلام هو البدء بتاريخ رجالاته وأسرهم ثم مجتمعاتهم المحدودة فأقطارهم فالأمة الإسلامية جمعاء وذلك اتساقا مع إيمانه العميق بضرورة وحتمية العودة إلى التراث للحفاظ على الهوية ومواجهة التحديات.

وإذا كانت كتب المختار السوسي جميعها ، من خلال الاستطرادات ، والتراجم ، والمقارنات ، وتذكر الفوائد والطرائف تفيدنا في التعرف على الكثير من رحلاته للحواضر الشمالية الكبرى زمن الطلب والتحصيل فإن الذي يحسن لفت النظر إليه ، هو أن صاحب المعسول يمكن اعتباره من أهم الرحالين الذين دونوا رحلاتهم بالمغرب في

---

[192]) طبع مرتين بالمطبعة الملكية، الرباط،1996، في 368 صفحة .طبع في جزء –والأصل في جزأين– بتعليق وتهذيب العلامة سيدي محمد بن عبد الله الروداني. وانظر:مقال:" ملاحظات حول محمد المختار السوسي و أعماله"، علي صديقي،ندوة الذاكرة المستعادة ،أكادير، 1984.

[193])من مقدمة الكتاب

[194]) محمد العثماني، مقال:"المختار السوسي شاعرا وعالما ومؤرخا"، مجلة الكلمة من إصدار جمعية علماء سوس العدد 1 السنة 1، محرم 1391هـ/فبراير 1971م، ص. 15-19.

[195]) انظر : محمد المنوني ، مقال" المؤسسات التعليمية الأولى بسوس و خصائص المدارس العتيقة بالمنطقة"، أعمال ندوة أكادير الكبرى ، محور الفكر و الثقافة ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر،1990م، ص: 50. ومقاله بمجلة الايمان ،العدد5، السنة 1، 1964 ،ص50-51

النصف الأول من القرن العشرين ، فأفادونا بملاحظاتهم وانطباعاتهم ومشاهداتهم عن الأماكن التي كانت مسرح هذه الرحلات ؛ فبفضل ما دونه ازددنا معرفة بمنطقة سوس من حيث جغرافيتها ، وتاريخها ، وفضاؤها العلمي والأدبي والصوفي ...، وهكذا تعرف له ثماني رحلات جاب فيها إقليم سوس كله بحواضره وبواديه ، ومدارسه وزواياه وخزائنه ، ومواسمه وأسواقه ، واختلط أثناءها بسكانه على اختلاف مشاربهم ومستوياتهم ، وجالس العلماء والأدباء والمتصوفة والفقهاء والقراء ...

كذلك يتحدث الأستاذ العلامة المختار السوسي عن إنتاجه الفياض الذي كان يعجل بتدوينه و تقديمه إلى القارئين و الباحثين، لأنه يخاف عليه الوأد و الضياع و حرمان المكتبة العربية من تراث علمي و أدبي و تاريخي لا يعوض بثمن، و لا كان في مقدور كل مثقف جمعه و إحياؤه.إلا أن هناك عوامل طبعت اكثر إنتاج الأستاذ بسمات التلون في المضمون و الشكل و أهم هذه العوامل:

- ✓ 1:الطابع الموسوعي الذي يتسم به إنتاجه، فهو واسع الأفق غزير المادة، وأكثر مواده (خام) لم تتناولها يد باحث، و لا دونت بتنسيق في كتاب.
- ✓ 2:غرضه أولا حياء تراث ضاع، و ثانيا توفير المصادر لمن يجدون نشاطا و رغبة في البحث، فلو نقى كل إنتاجه مما لا يلائم البحث المنهجي لضاع أهم المصادر لهذا البحث نفسه،والى ذلك أشار في آخر كتابه " سوس العالمة :"**و على من يأتون أن لا ينظروا إلى كل ما جمعته إلا نظرة من يجد بين يديه بعض المصادر، ثم عليه أن يجتهد حتى ييسر مصادر أخرى**..." ([196])
- ✓ 3:تأثير بيئات مختلفة في تكوين شخصيته الثقافية، فقد نشأ في بيئة دينية علمية محافظة، و في وسط أدبي تقليدي، إذ كانت نشأته الأولى في زاوية والده شيخ التربية الصوفية، و في معاهد سوس العلمية الشديدة التمسك بالأصالة في تعليم اللغة العربية و التمرس بآدابها ، ثم انتقل إلى معاهد مراكش، فإلى القرويين بفاس، فإلى الرباط في خاتمة مطافه، و في هذه البيئات المتنوعة – بالإضافة إلى رجالات العلم الذين احتك بهم و هم مختلفو المشارب و المعارف – تكونت له شخصية تأثرت بتلك البيئات كلها.([197])

إن ولوج محمد المختار السوسي لحقل التاريخ عكس جانب من جوانب مساهمته في الحركة الوطنية التي تعدت في بدايتها للسياسة والمفاهيم الاستعمارية، وتأجيج روح الوطنية استنادا إلى التاريخ . وإن العمل التاريخي لمحمد المختار السوسي تجاوز جمع وتقديم المادة التاريخية لمنطقة سوس، وإنما مزج بينها وفقا لنسق يبرز التمييز في إطار

---

[196])الصفحات الاخيرة من خاتمة الكتاب

[197]) محمد العثماني،مقال : "المختار السوسي شاعرا وعالما ومؤرخا، مجلة الكلمة من إصدار جمعية علماء سوس العدد 1 السنة 1، محرم 1391هـ/فبراير 1971م، ص. 15-19.

الوحدة التي تتعدى دائرتها في مؤلفاته المغرب والعالم العربي لتشمل العالم الإسلامي[198]. ولقد قصد المختار السوسي التأليف التاريخي رغبة منه في الحفاظ على المكونات الثقافية للهوية الحضارية مدونة في الكتب ليطلع عليها أبناء اليوم وأبناء الغد . بل و أراد المؤرخ السوسي بعمله التاريخي أن يرد الاعتبار لبادية سوس، لفتح التاريخ أمام كل الذين شاركوا في صنعه، وهو ما سماه الدكتور مولاي الحسن السكراتي بـ"دمقرطة الإرث التاريخي" الذي يقصد به: "عدم ترك التاريخ حكرا على أسرا وفئات معينة دون غيرها"، لرد الاعتبار لقاعدة عريضة من المغاربة سكان البادية، وخاصة منهم علماؤها. أي هويتها الثقافية وسلطتها العلمية [199] .وعلى العموم إن محمد المختار السوسي ذاكرة من ذكريات التاريخ المغربي، ومؤرخا وموسوعة علمية متعددة المشارب، لا غنى للباحث في تاريخ سوس خاصة وتاريخ المغرب بشكل عام، من الرجوع إليها والاستفادة منها .

و أخيرا تجدر الإشارة أن ما دَونهُ العلامة المختار السوسي رحمه الله يبقى في حاجة علمية مُلِحة من أجل دراسته كما يقر بذلك العلامة المختار السوسي نفسه بتواضعه و إلمامه بتاريخ سوس خصوصا وتاريخ المغرب عموما ، حيث يقول في هذا الإطار: " **ثم ليس ذلك بالتاريخ المطلوب عن سوس، و إنما المقصود جمع المواد لمن يكتبون وينظمون غدا، و هذا هو الواجب الآن علينا ، و أما أن ندعي أننا حقيقة نكتب التاريخ كما ينبغي ، فإن ذلك إفك صراح** "[200]، و دعا إلى وضع سجل من أجل ضبط الحوادث و التعريف بالرجال و إستقصاء العادات لكل منطقة مغربية[201].

ت: نموذج الكتابات الوطنية:

لم يكن العلامة سيدي محمد المختار السوسي يتحرك ويعمل دون أرضية فكرية واضحة ودون منطلق تصوري للإصلاح، بل كان ينطلق . حسب ما صرح به في العديد من كتاباته – بوعي كامل لما يريد وللإصلاح الذي ينشده. ويمكن تلخيص تلك الأرضية الفكرية في ثلاثة مرتكزات هي:

- 1: شخصية المغرب شخصية إسلامية ذلك أن المغرب . عند المختار السوسي – منذ أن دخله الإسلام أصبح بكل مكوناته، سواء كانوا عربا أو أمازيغا، مزيجا واحدا لا يمكن فصله، لأن اللحمة التي تجمعهم هي الإسلام. ولا يمكن للمغرب بالتالي أن يخرج من الحماية ويظفر بالتقدم إلا بالعودة إلى الإسلام. نجد هذا في ثنايا كتبه ومقالاته بكثرة.

---

[198]) انظر علي المحمدي،مقال:" مشروع إعادة كتابة تاريخ المغرب في تصور محمد المختار السوسي"، ضمن اعمال ندوة محمد المختار السوسي الذاكرة المستعادة، التي نظمها اتحاد كتاب المغرب بتعاون مع المجلس البلدي بأكادير، أيام 23/22/21 دجنبر 1984، ص 88.

[199]) انظر: الحسن السكراتي، محمد المختار السوسي (1900-1963)بيوغرافيا ثقافية، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ، جامعة ابن زهر أكادير سنة 2004، رسالة مرقونة بكلية الآداب بأكادير، ص 381.

[200]) الصفحة: د،من كتاب سوس العالمة ،م.س.

[201]) الصفحة: هـ. من كتاب سوس العالمة ،م.س.

فهو يقول فيما يخص نظرته إلى المغرب: "**لأنني من الذين يرون المغرب جزءا لا يتجزأ، بل أرى العالم العربي كله من ضفاف الأطلسي إلى بلاد الرافدين بلدا واحدا، وأرى جميع بلدان الإسلام كتلة متراصة من غرب شمال إفريقيا إلى أندونيسيا لا يدين بدين الحق من يراها بعين الوطنية الضيقة التي هي من بقايا الاستعمار الغربي في الشرق**". ويقول في مقدمة كتابه "المعسول": "**وقد تلاءمت في تقاليدنا الإسلامية المغربية مقتضيات حياتنا وديننا وعاداتنا وحياتنا وعرفت في مجتمعنا تلاءما تاما بين العربية ولغة الدين وعادات تكونت تحت نظرهما في قطر امتزج فيه العرب والبربر تمازج الماء بالراح**". ويعتبر العلامة المختار السوسي أن المغرب ما تكون كدولة إلا بالإسلام، يقول في الخطاب الذي ألقاه في الدورة الخامسة لمؤتمر العالم الإسلامي ببغداد مختتم 1382 هـ: "**أما نحن في المغرب، فإن أمكن أن يتنكر شعب من شعوب الإسلام للإسلام وتعاليمه، فإن ذلك محال في حقنا، لأننا ما تكونا كدولة بين الدول إلا ببركة الإسلام. فقد مضى على قطرنا الفينيقيون والرومان والوندال والبيزنطيون، فلم يكن لنا ظهور كدولة إلا بمجيء الإسلام**".

- 2: الحركة الوطنية لا تنجح إلا إذا كانت إسلامية والفكرة الوطنية لابد أن تستند على الدين والأخلاق: يقول في مذكراته "معتقل الصحراء": "**لأن الناس هناك – بل في كل البادية – لا يفهمون الوطنية إلا غيرة دينية، ولا يستثار فيهم شعور وطني إلا إذا آنسوا العمل الديني من وطني، وإلا فسيسقط في أعينهم وشيكا**". وعندما تحدث عن البذور الأولى لنشأة العمل الوطني بفاس، وكان يدرس آنذاك بالقرويين، يقول في "الإلغيات": "**ومن هناك تمخضت الفكرة الوطنية المتركزة على الدين والأخلاق السامية، وكنت أصاحب كل المفكرين إذ ذاك، وكانوا نخبة في العفة والدين، ينظرون إلى بعيد**"([202])

- 3: خطر الاستعمار على الإسلام والوطنية بنشر ثقافته وفرض لغته، وهو ما يسميه "**استعمار العقول والأفكار**". ويمكن أن نقول بأن مجمل الجهود الإصلاحية لمحمد المختار السوسي تنطلق من هذه المرتكزات. فهو يعتبر أن مهمته الأساس هي الإسهام في بناء المغرب الحديث على أسس إسلامية قويمة. يقول في "معتقل الصحراء": **أفلا يهتم مثلي بمثل هذا الشعب الكريم، فليس عندي ما أجزيه به إلا التوجيه الصحيح إلى دينه، وإلى الهداية إلى الصراط المستقيم في كل شؤونه". ويعتبر نفسه في عمله الوطني "مخلصا لمبادئ الدين أولا، ثم لمبادئ الحزب الحق ثانيا"، لأنه "كيف يخلص لشعبه من لا يخلص لربه"**.

وبقي أستاذنا بعد الاستقلال وفيا لمبادئه تلك، فقد حذر في أكثر من مناسبة من مغبة التفريط فيها. ومن ذلك أنه انتقد في مقدمة "المعسول" ما بدأ يلوح آنذاك من تحول في الأفكار والقيم، يقول: "**أمس كان الدين ومثله**

---

[202]) وانظر: عبد الغني أبو العزم، تقاطع العلم والسياسة في فكر محمد المختار السوسي، وزارة الثقافة، 2009، وما هو إلا مدخل لمشروع دراسة عن فكر محمد المختار السوسي، ترتكز على جرد عدد من المفردات في ضوء دلالتها كما وردت في مؤلفاته، مثل العلم والعلوم والسياسة والوطن والدين والفقه والتصوف واللغة والثقافة وذلك من أجل الكشف العميق عن المواقف الأصيلة لهذا العالم المتفرد.

العليا والتخلق به والتحاكم إليه والحرص على علومه، واحترام حملته هو المعروف المجمع عليه (...). **أمس كانت عندنا تقاليد محترمة في اللباس، وفي اختيار التأثيث، وفي هيأة الجلوس، وفي إقامة الحفلات، وفي مزاولة الأعمال، فتكونت لنا هيأة اجتماعية توافقنا لأنها كانت متسلمة عن الأجداد** (...). **وفي هذا اليوم دهم علينا الاستعمار بخيله ورجله، بلونه وفكره** ."وتحسر مرارا على ما آلت إليه الأمور في هذا المجال واعتبر ذلك خروجا عما كانت الحركة الوطنية تهدف إليه أثناء مقاومة سلطات الحماية، يقول مثلا: "**وليت شعري لماذا كنا نحرص على الاستقلال إن لم تكن أهدافنا المحافظة على مثلنا المجموعة في أسس ديننا** ."

وعلى الرغم من أن المختار السوسي تكون في بيئة محافظة جدا، إلا أن فكره ظل يستجيب باستمرار للتجدد والتطور، فكلما تحول إلى حاضرة جديدة، مراكش ثم فاس ثم الرباط، طور فكره ونظراته دون حرج .وبقي منفتحا على الجديد دون تعصب أو تشدد. ومما تحدث عنه أنه جعل كتاب "أصل الأنواع" لتشارلز داروين أنيسه في السجن، يقول: "**فانكببت عليه أتفهم مغازيه وأستوحي منه ما يريد داروين الإنجليزي بفكرته هذه، فأفادني فوائد** ."ولقد كان محمد المختار السوسي من بين الشخصيات الوطنية التي أسهمت في بعث روح الاعتزاز بالهوية المغربية، محاولا بناءها على التفاعل الراشد بين مبادئ الدين وتراث المجتمع من جهة، ومقتضيات التطور من جهة أخرى([203])

كمما سجل المختار السوسي في العديد من كتاباته رغبته في أن يكون الاستقلال طريقا لازدهار التعليم والعلم بالمغرب، تعليم وعلم محلين بالأخلاق والدين. وهو يعطي في ذلك أهمية خاصة للمدارس التي تدرس العلوم الدينية. فهو يدعو إلى تنظيمها، "معتنى فيها بمبادئ العلوم"، "محافظا فيها على الأخلاق الدينية والعادات القومية، زيادة على المحافظة على القرآن."وكان يرجو أن ترجع "**الحياة إلى مدارس العلم البدوية كالمدارس القديمة المنبثة في أرجاء سوس، حتى توافق العصر في تدريسها ونظمها، فإن الشعب المغربي لا ينهض عمليا دينيا ودنيويا إلا بتنظيم كل الكتاتيب والمدارس التي تغمره من أدناه إلى أقصاه** ."([204])

ولقد عرف عن العلامة سيدي محمد المختار السوسي انفتاحه على كل العلوم و تأثره بها، وينهل منها ما ينهل، خاصة في صفوف المشارقة الوطنين "**إعجابه بزعماء الوطنية والإصلاح في المشرق العربي والعالم الإسلامي**

---

[203]) وانظر: مصطفى يعلى: مقال:"منجز محمد المختار السوسي بين الضرورة المحلية والعمق الوطني. محاول الفهم "، بدون تاريخ.منشور على رابط وزارة الثقافة :

http://www.minculture.gov.ma/index.php?option=com_content&view=article&id=760:mostapha-yaala-motar-soussi-essai&catid=51:etude-et-essais&Itemid=153

[204]) انظر : كتاب السيرة الذاتية لمحمد المختار السوسي، م.س.

كجمال الدين الأفغاني و محمد عبده و شكيب أرسلان و طه حسين و أحمد شوقي "([205]) وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على انفتاحه على الثقافة المشرقية و تشبعه بأفكارها، عكس بعض العلماء والفقهاء الذين ما زالوا في طي الانغلاق والعزلة في العلم والمعرفة.وما من شك في الإسهام القوي لمحمد المختار السوسي في العمل الوطني وفي مقاومة سلطات الحماية. فقد أسهم في تأسيس أول خلية في إطار العمل الوطني بفاس، وهو طالب آنذاك، وأسهم بفاعلية في الإعداد والتنظير والتنظيم له بمراكش. وعبأ له في دروسه ومحاضراته وبشعره طيلة مراحله. كما كان رحمه الله من المعارضين الأوائل للظهير البربري، وكذلك رفض مبايعة ابن عرفة، لهذا أصبح ضمن لائحة الوطنيين المطلوبين من لدن المستعمر الفرنسي .وقد لفت ذلك كله نظر سلطات الحماية، فعملت على ترغيبه تارة بمناصب رسمية كالقضاء، وترهيبه تارة أخرى بالاستدعاءات والتحقيقات المتكررة. ولما فشلت كل تلك المحاولات استعمل معه مثل باقي الوطنيين سلاحا النفي والاعتقال .وعلى الرغم من ذلك الإسهام القوي، إلا أن السوسي كان دائما يؤثر العمل العلمي والتعليمي والتربوي، ويعطيه الأولوية. وكان يقول عن نفسه إنه رجل علم وليس رجل سياسة، وأنه خلق للعلم لا للسياسة، وكان دائما يعتبر مهمة العالم أعمق أثرا في مقاومة المستعمر من مهمة السياسي لأن الرسالة العلمية في نظره هو النهج الأفضل للحفاظ على مقومات الأمة ومقاومتها للاستعمار من جهة وللذوبان من جهة ثانية. ولذلك ظل مبتعداً عن أدوار الريادة أو الزعامة السياسية .وعرف أكثر من قبل سلطات الحماية ومن قبل مراقبيه بصفة العلم وعدم إظهاره السياسة، وهو ما أداه إلى أن يقول معلقا على مروره بمحنة المتابعة والاستنطاق، وبعدما أشير عليه بأن لا يصاحب أيا من الأشخاص:" **الواقع أنني معهم في جمعية سرية، ولكنهم يظهرون السياسة، وأنا لازمت حالتي العلمية.**"

وهناك من يعتقد . خطئا . ان من نتائج هذا التوجه لدى المختار السوسي أنه لم يهتم بمناقشة الإشكالات السياسية المطروحة ولا بتقديم برامج أو مشاريع أو حتى أجوبة في هذا المجال. وكان كل ما طرح مبادئ وأفكارا عامة. وهي وإن كانت في المجمل واضحة عنده، لكنه لم يكتب أي شيء عن البرامج العملية المطلوب تنزيلها، كما فعلت شخصيات إصلاحية أخرى .كما أنه لم يقم على المستوى النظري بأي جهد يذكر في التنظير السياسي، لا في إطار الفقه السياسي التقليدي في الحضارة الإسلامية، ولا في إطار نقده وتجديده.([206])

ومن مساهماته في الكتابة الوطنية نتوقف عند مايلي:

❖ **1: معتقل الصحراء:** ان العنوان يؤهلنا لفهم محتوى الكتاب والتنبؤ بما يحمل بين طياته. وفي هذا الإطار يقول عبد النبي ذاكر:"..**وينبغي الاعتراف أيضا أن العنوان يشكل وحده وثيقة الصلة بالنص... الذي يعلن عنه**

---

[205]) عمر بزهار ،"أبعاد الرؤية الوطنية و تجلياتها في كتابات محمد المختار السوسي"، مجلة المناهل ، ص 313، عدد أكتوبر 2005.

[206]) سعد الدين العثماني ،مقال:"المنهج الإصلاحي عند محمد المختار السوسي"، ندوة الذاكرة والمسار،21 ماي 2011، تنظيم جمعية الوفاء لبناء ورعاية متحف المختار السوسي ،تزنيت

أو يبشر به" ([207])،و يسايره في نفس المفهوم حافيظ الإسماعيلي العلوي في قوله: **"وهذا يعني أن العنوان هو مرآة النسيج النصي وهو الدافع للقراءة و هو لشرك الذي ينصب لاقتناص المتلقي**"([208]).

و ان كتاب "معتقل الصحراء" يندرج ضمن أدب المعتقلات أو المنافي، حيث يعمل المنفي على تدوين كل الأحداث التي عاشها في حضن المعتقل وتبعا لذلك فقد سعى إلى نقل تجربته إلى القارئ وتصويرها بكل حذافيرها. والكتاب حسب ما نستشفه من مقدمته أنه ينقسم إلى جزأين رئيسين:

- الجزء الأول و ينقسم بدوره إلى فرعين، فالفرع الأول يحمل بين طياته كل الأشياء التي سجلها الكاتب أثناء مقامه بتنجداد، ثم الفرع الثاني الذي يخص مقامه في معتقل آخر وهو أغبالو نكردوس.
- أما فيما يتعلق بالجزء الثاني فقد خصصه –حسب قوله– إلى الترجمة لبعض الأعلام والشخصيات، وهم رفاقه في المعتقل، وقد نبه المؤلف القارئ إلى أن هذا الكتاب يحمل بين دفتيه نوعين من الكتابة، فمنها ما ينحو منحى المنظوم ومنها ما ينحو منحى المنثور وهذا الجزء يضم المنثور والمنظوم من المذكرات والقوافي التي رسل بحسب الدواعي والبواعث ([209]).

اذن فالكتاب الذي بين أيدينا عبارة عن مذكرات أو يوميات لصاحبه الذي رمت به الأقدار في جب الصحراء، فعمل على تسجيلها يوما بيوم، بغية قتل الفراغ ومحاربة الملل، إذ كان هذا الكتاب ثمرة حقيقية من ثمار هذا المعتقل الصحراوي، وهكذا اعتبر المعتقل كمرتع خصب لولادة الانتاجات وترعرعها في شتى المجالات والميادين ([210]) وقد ذيل هذا الكتاب بمقدمة بقلم المؤلف في صفحة ونصف، سطر فيها للأهداف المتوخاة من تدوينه، وحدد منهجيته فيه، وهو ينقسم إلى قسمين، قسم يخص المؤلف ومقامه بتنجداد، وقسم آخر يتعلق بذكرياته في معتقل أغبالو نكردوس، ثم شق آخر ملحق بهذا الديوان والمعنون ب"مذكرات عن المعتقل"، والذي لخص فيه لكل الأحداث التي عاشها في معتقل الصحراء، ووصف فيه الجو السياسي وما طبعه من تشرذم الأوضاع واضطرابها، وقد أضاف ثلاث خرائط تحدد موقع ومكان المعتقلين بالضبط أي المعتقل القديم والجديد معا، وتلي هذه الخرائط مباشرة فهرسة الكتاب، التي عمل المؤلف فيها على وضع عنوان معين لكل فقرة من الفقرات المندرجة في هذا الكتاب، وتناهز الفهرسة حوالي تسع صفحات ونصف صفحة، ثم هناك جدول خصص لتصحيح بعض الأخطاء المطبعية، وتليها لائحة لمعظم مؤلفات السوسي التي تتراوح بين ما هو مخطوط وما هو مطبوع، وفي آخر الكتاب ، بمعنى

---

[207]) عبد النبي ذاكر ،عتاب الكتابة: مقاربة لميثاق المحكي الرحلي العربي، مجموعة البحث الأكاديمي في الأدب الشخصي ،ط1، 1988، ص .13

[208]) اللسانيات العربية وإشكاليات التلقي: حافيظ الإسماعيلي العلوي، مجلة فكر ونقد، العدد 58، ص.98.

[209]) معتقل الصحراء: محمد المختار السوسي، ط.1. 1982. مطبعة الساحل الرباط ، ص .5

[210]) عبد القادر الشاوي : مقال :الكتابة والمقاومة في سيرتين ذاتيتين: من ذكريات سجين مكافح لمحمد ابراهيم الكناني ومعتقل الصحراء للمختار السوسي،جريدة الشرق الاوسط، العدد8622،الاحد 27 ربيع الثاني 1423هـ 7 يوليو2002
http://www.aawsat.com/details.asp?section=28&article=111799&issueno=8622

الصفحة رقم 256 نجدها تحمل توضيحا وتنبيها بقلم أسرة المرحوم وبتوقيعها بغية مساعدة القارئ و إفهامه على أنها توخت الأمانة العلمية في نشر هذا العمل. ومن خلال قراءتنا لهذا المؤلف يمكننا تقسيمه إلى ثلاث محطات بارزة في هذا المعتقل الصحراوي والتي عاشها هذا المؤرخ بكل تفاصيلها و أحداثها، ويمكننا إجمالا رصدها في مايلي:

- **أ:أحداث ما قبل الاعتقال**: وقد تعرضنا لها بتفصيل في المحور السابق
- **ب:ذكرياته في معتقل تنجداد**:لقد عمل المؤلف في هذا الكتاب على وصف الجو الذي أصبح ملاذ خلوته و أنيس وحشته، فوصف كل صغيرة وكبيرة فيه، إذ لم يكتف بذكر الخطوط العريضة فحسب، بل انكب على تصوير هذه الحياة الجديدة بكل حذافيرها وتفاصيلها الدقيقة من فراش وغطاء و مأكل و مشرب، والقيم الذي يشرف على خدمته، وغيرها من الضروريات التي تهم عالما مثله.لقد كان الكتاب بمثابة أنيس وحدة المختار السوسي، ولعل أهم كتاب حمله معه يوم الاعتقال هو كتاب "النشوء والارتقاء" لصاحبه دروين، وفي العموم فقد كانت أيامه الأولى من مقامه في معتقل تنجداد أياما محمودة، بسبب ما توافر لديه من كتب وكذلك بعض الامتيازات التي منحت له، فاستبشر خيرا، وكان في منتهى الرضا والقناعة، لأن المنفى قد أعطى له فرصة لا تعوض للخلق والإبداع، عكس ما مر به الفقيد علال الفاسي رحمه الله والذي يؤكد في جل كتاباته أن المعتقل كلمة مرادفة للمعاناة والبكاء الممزوج بالألم، وتبعا لذلك فالمختار السوسي قد انتهز هذه الفرصة التي قضاها بين أحضان المعتقل، ليجعلها محطة بارزة للجد والتحصيل والتعمق في الدراسة الدينية من جهة، والإطلاع على مختلف الكتب والمعارف من جهة ثانية، وكل هذه المؤثرات تضافرت لتثمر عدة ثمار، منها هذا المؤلف الذي بين أيدينا، بالإضافة إلى مؤلف يجمع لكل الدروس التي ألقاها على حضرة الطلبة، وهكذا سمحت له الفرصة رحمه الله على الوقوف على أرض صلبة، و أصبح فكره عبارة عن خزان من العلوم والمعارف في شتى الميادين، وكان من حين لآخر ينظم عدة قواف في مختلف المواضيع التي أثارت حفيظته باعتباره وطنيا غيورا على دينه ووطنه وعروبته، فكانت هذه الأشعار تتفاوت ما بين الطول والقصر.([211])

ولكن رغم هذه الظروف والامتيازات التي ساهمت في عدة أشياء ايجابية، إلا أنه كان كثيرا ما يقارن بين حالته الأولى التي كان فيها بين أحضان أهله و عشيرته، والحالة التي آل إليها، والتي يغلب عليها الوحدة الممزوجة بالكآبة والألم، ولكن أيمانه القوي يجعله يتحدى كل الصعاب والعوائق، فكلما تشبث بالإيمان كلما كان تفاؤله يزداد يوما بعد يوم، وفي هذا الإطار يقول بوجمعة جمي: "**ولاسيما انه رزق القناعة والصبر وقوة تحمل آلام الغربة عن**

---

[211]) لقد حرص في مقدمة الكتاب على توضيح بعض النقاط التي قد لا يسلم فيها من نقد البعض بغية تفادي النقد الذي ربما يوجه اليه ، فقد أشار إلى أن القوافي التي نظمها قد لا تمت للأدبية أو الشاعرية بشيء "ثم أطلب من المتصفح للقوافي أن يغمض كثيرا عما يراه من الفهاهة في غالب ما يقرأه، خصوصا الاخوانيات لأن الغرض هو التسجيل لا غير" ، وهذا اعتراف جلي وصريح وواضح من لدن المؤلف، فرغم مستواه الثقافي والعلمي فقد انحنى تواضعا للقارئ طالبا منه أن يغمض الطرف عن هذه المسائل مبررا ذلك بقوله "فما لا ينشرح له صدر الأديب فقد ينشرح له صدر المؤرخ". من مقدمة كتاب معتقل الصحراء،ج1، م.س.

الأهل والأصدقاء، وتقبل التضحية من أجل دينه ووطنه بصدر رحب"([212]). ويمكن هنا أن نستحضر هذين البيتين للاستشهاد على المقارنة التي أقامها بين الماضي والحاضر وهما على النحو التالي:

"فمن قبل يوم كنت بين عشيرتي سعيدا إذا بي مفرد السجن في الظلم"

وحيدا فلا ألقى أنيسا مضمدا بحلو حديث ما الزمان به كلم"([213])

وعموما فقد كانت حياته رحمه الله في هذا المعتقل التنجداوي، حياة مليئة بالاحداث، ولعل الامتيازات التي منحت له كانت وراء انبساطه ورضاه، رغم الوحدة التي تطال هالا انه كان يعتبرها سيفا ذو حدين، فمن جهة هو يحتاج إلى هذه الوحدة من اجل الإنتاج الفكري وكثرة المطالعة، ولكن من جهة ثانية كانت الوحدة تمثل له كابوسا مخيفا جراء ابتعاده عن أهله و أفلاذ كبده، اذ كان من حين لآخر ينتابه الحنين والشوق لفلدات أكباده ، ذلك انه عندما قام أخوه وابنه بزيارته قد أحس باهتزاز نفسيته التي جاشت باللوعة و الألم لفراقهم فأنشد قائلا:

هذا أخي ثم هذا فلذتي أ أنا صخر إذا لم أذب شوقا وتحنانا؟

تحشما شقة نحوي على لهف ألحظة تنقع المشتاق لهفانا؟([214])

خصوصا عندما نزعت منه سلطات الحماية كتبه وكراساته واستحوذت عليها فأحس باللوعة والحسرة، لأن الكتاب كان بمثابة خير أنيس وجليس له في وحدته وفي هذا الاطار يقول رحمه الله: "**فلا تسأل عما خامرني اليوم من جراء ابتعاد كتبي التي هي وحدها أنيسي**" ([215])، وبدأت تعامله معاملة السجين المذنب فكبلت حريته وحرمته ابسط حقوقه.

- ت: **– ذكرياته في معتقل أغبالو نكردوس**:أثناء مقامه بمعتقل تنجداد، علم انه سينتقل إلى معتقل جديد وهو معتقل أغبالو نكردوس، ولكنه أحس بإحساس غريب يراوده، إذ كان يتخوف من هذا المعتقل على اعتبار أنه سيكون في طي اعتقال جماعي، بعدما كان يتمتع في المعتقل الانفرادي بعدة امتيازات و اتيحت له فرصة الإبداع والخلق وكثرة المطالعة، فيقضي كل أوقاته ما بين العبادة والزهد وما بين المطالعة في كل المعارف، وهكذا فقد زاوج بين ما هو ديني وما هو دنيوي، لهذا كان يحبذ الوحدة المتوفرة في المعتقل القديم "**لأنني استأنست بوحدتي هناك ووجدت روحا وريحانا فيها، وكنت أتخوف أن أصادف في هذا المجتمع من لا يوافقون، لأن الناس طباع و**

[212]) انظر:" مقال:"المنحى الفكري والسياسي عند المختار السوسي في منفاه"، بوجمعة جمي ، مجلة المناهل عدد أكتوبر 2005. ص. 381.

[213]) انظر: معتقل الصحراء،م.س، ج1،ص32

[214]) انظر: معتقل الصحراء،م.س، ج1،ص51

[215]) انظر: معتقل الصحراء،م.س، ج1،ص37

أجناس وأذواق" ، وبهذا يتضح لنا هذا التخوف والتشاؤم الذي سيطر على المؤلف نتيجة هذا الانتقال المفترض، ولقد نبهنا أنه في هذا القسم من الكتاب ستميل الكفة نحو نظم القوافي التي تنحو منحى تقريريا ولا تحتوي على الشاعرية بشيء وفي هذا الاطار يقول: "**ولكنني لا أعتني منها بالتقييد إلا بما يتعلق ببنات القوافي من الاخوانيات، و إن كانت لا تمثل الأدب العالي**"([216]).

وفي طيات الكتاب يرصد لنا العلامة سيدي المختار السوسي أثناء مقامه بمعتقل أغبالو نكردوس أجواء التمرد التي قام بها من كان معه بهذا المعتقل، حيث عملوا على تمريغ وجه الكومندار في الوحل و أعلنوا سخطهم عليه، فهذه الحادثة هزت كيان الكومندار وزعزعته، فأثارت حفيظته، لأنه أحس بالفشل في قيادته لموكب المعتقل، وبعد هذه الحادثة فقد استمع كل أفراد المعتقل بلذة الانتصار والفوز بعد أن أبانوا جميعهم عن صمودهم، وذلك نابع من حبهم لملكهم ولوطنهم. لقد عاش محمد المختار السوسي عدة أحداث أثناء مقامه في هذا المعتقل الجديد، وأحس بالراحة والطمأنينة بعد أن كان الخوف يسيطر عليه قبل المجيء لهذا المعتقل الجماعي. وقد كان حسب قوله قبلة مهمة لعقد عدة مجالس، سواء منها الأدبية أو العلمية أو السياسية أو الاقتصادية أو الإجتماعية، حيث جمع المعتقل بين دفاته ثلة من الفدائيين الذين تعددت شعبهم ومناهلهم، ومشاربهم الثقافية، مما أتاح فرصة كبيرة لتبادل الإفادة والاستفادة و تكاملت المجالس فيما بينها، وتخرج من هذا المعتقل عدة طلبة نجباء في جميع العلوم والمعارف داخليا وخارجيا، ولقد كان المختار السوسي يشدد على طلابه ورفقائه في المعتقل بضرورة التبكير في الاستيقاظ والحرص على أداء الواجبات الدينية والفرائض في وقتها التي كانت تؤدى بشكل جماعي،وفي هذا الاطار يقول:

"يا ابن الحسين النئوما الم يئن أن تقوما
الم تر النور نور الشرو ق في الجو شيما
اصبحت تم تبتغي الص حة أن تستقيما"([217])

ولكن المراقبين حالوا دون ذلك ومنعوهم، فأقفلت سلطات الحماية القاعات التي كانت مخصصة لاداء الفرائض، ومنعت كذلك عنهم الآذان، في محاولة منها الى طمس معالم الدين الإسلامي وتفريق تجمعات المعتقلين بعد أن كان الدين والعلم يجمعهم في حلقة واحدة، الا ان أفراد المعتقل لم يستسلموا، بل أصروا على الصلاة بشكل جماعي وعوضوا صوت الآذان بناقوس ، وهكذا تحقق مبتغاهم على الرغم من تعارض قوي بين أفكارهم وأفكار المستعمر. فأنشد رحمه الله في هذا الصدد قافية طويلة تتكون من أربعين بيتا وهذا يعكس هذه الصورة التي آل إليها الدين في أرجاء هذا المعتقل:

"أهكذا صارت النعمى إلى بوسي لما استحال أذان الدين ناقوسا
ماذا يراد بنا يا قوم فانتبهوا ماذا يريد بنا من ألهو عيسى

---

[216]) انظر: معتقل الصحراء،م.س،ج1، ص71

[217]) انظر: معتقل الصحراء،م.س،ج1، ص 117

أم يحسدونا على التوحيد أم طمعوا أن يجعلوا الدين في الأجيال مطموسا" ([218])

وفي هذا الكتاب أيضا يقدم لنا نبذة تاريخية وترجمة ذاتية عن كل واحد من أفراد المعتقل، إذ ترجم لثمانية وعشرين رجلا من بين رجالات المعتقل، وترجمتهم تتراوح ما بين الطول والقصر من جهة، وما بين الإسهاب والاقتضاب من جهة أخرى، والملاحظ أن المختار السوسي في هذه التراجم لا يذكر نواقص المترجم لهم أو العيوب بل كان دائما يركز على الايجابيات، وأثناء الترجمة يقوم بتعداد مناقبهم وحسناتهم، لحبه وتعاطفه مع الشباب الذين يعتبرهم كأبنائه ، فإنه يعمل على تسوية اعوجاجهم و إسداء النصح والإرشاد لهم.وفي ظل اجواء هذا المعتقل، يتبين لنا من خلال الكتاب دائما ان أفراده كانوا ينتظرون تحقيق وعد أو ميثاق مبرم بينهم وما بين الفرنسيين، إذ أنهم كانوا ينتظرون وقت انتقالهم إلى البناية الجديدة على أحر من الجمر. ولما تم الانتقال فقد انظمت إليهم كوكبة جديدة من المعتقلين، وهذا ما أثلج صدورهم لأنهم في شوق لملاقاة رفاقهم و أقرانهم الذين يوحدهم مبدأ واحد هو التضحية من اجل استرجاع الوطن من حوزة المستعمر. وإن ما يلفت انتباهنا في هذا المعتقل من خلال الكتاب دائما، هو أن أفراده لم يكونوا منعزلين عن مجرى الأحداث والأخبار التي تقع خارج المعتقل أي الأحداث التي يعيشها المغرب والمغاربة. وهذه الأخبار تصلهم تباعا سواء عن طريق وسائل الاتصال السمعية أو البصرية كالصحف والمذياع أو عن طريق الرواية من بعض الناس، الذين كانوا بمثابة همزة وصل بينهم وبين العالم الخارجيوفي هذا الاطار يقول المختار السوسي: "**وهكذا رحمنا ربنا فلا يكاد يقع شيء حتى نعرفه**" ([219])، ولعل من أهم الأخبار التي وصلتهم، هي محاولة الفتك "بابن عرفة" ومحاولة اغتيال الجنرال "دوتفيل" حاكم مراكش العسكري و غيرها من الأخبار....

وبعد أن قضى العلامة المختار السوسي سنة ونصف في هذين المعتقلين، فقد بشر بأنه سيكون أول المرحلين الذين سيطلق سراحهم، مودعا بذلك المعتقل و ذكرياته معه.إلا أنه تزامن وقت إطلاق سراحه مع مقتل الصحافي "ايرو" في البيضاء لذلك قد تأجيل إطلاق سراحه، فواصل تدوين يومياته و مذكراته عن هذا المعتقل. وهذا الشق الأخير هو الذي يعتبر كملحق للديوان، فقد حدد لنا فيه الموقع الجغرافي بالضبط لمكان هذين المعتقلين بالتفصيل كتابة ورسما جغرافيا دقيقا. وعرض فيه كذلك للجمهوريات التي كانت في قلب هذا المعتقل ووصف كل جمهورية وما تتسم به من سيمات ما بين الصمت والهدوء وما بين المشاكسة واللهو و ما بين الجد والتهاون، كما تطرق كذلك لعرض البرامج والجلسات التي كانوا يعقدونها بانتظام من مثل البرامج الدينية والأدبية والعلمية، وبعض الدراسات والمحاضرات ومجمل الندوات التي عقدت في شتى المواضيع، وكذلك السهرات بالنسبة لهؤلاء الذين يميلون إلى عقد هذه السهرات والمشاركة في إحيائها. ووصف كذلك أجواء المعتقل وكل أنواع الامتيازات التي يحظى بها أفراد المعتقل

---

[218]) مسالة تعويض الآذان بالناقوس، حز في نفسية سيدي المختار السوسي، الا ان الضرورات كانت تبيح المحظورات. و انظر: معتقل الصحراء،م.س،ج1، ص92

[219]) انظر: كتاب معتقل الصحراء، م.س، ص148

من مراقبة صحية و مؤونة من أكل وشرب و مشتريات و كل الأشياء التي يحتاج إليها الفرد. وعلى العموم فقد كانت حياته في المعتقلين معا تجربة حرص على نقلها وتدوينها ونقلها لتبقى شاهدة على أحداث عصره([220]).

فالمعتقل- معتقل اغبالو نكردوس- حسب سيدي المختار السوسي كان مجالا خصبا لترعرع الانتاجات الأدبية وانعقاد المجالس العلمية و تبعا لذلك فقد تبلورت فيه عملية الإفادة والاستفادة، :"**فقد أصبح كل فرد في المعتقل أستاذا في اختصاصه وتلميذا لغيره فيما لا يزال يجهله**"([221]). ومن خلال تعدد هذه الاختصاصات وتنوعها يقول العلامة رحمه اله:"... **فأصبحنا و كأننا أمام فسيفساء تتلاقح فيها عدة علوم ومعارف كل يمثل اختصاصه أحسن تمثيل ويلقيه على مسامع من يجهله** ، ويضيف:"**هكذا توسعت خزانة المعتقل وتخصصت فمن كتب عربية إلى مراجع فرنسية وأخرى إنجليزية**" ([222]) وهكذا تعاون كل أفراد المعتقل ليحولوا هذا المعتقل من مكان مخيف مرادف للبكاء والنوح الممزوج بالألم واللوعة والكآبة إلى ينبوع من المعارف ومدرسة تموج بالدروس فيقول : "**فأرى دروس قائمة ومطالعات دائمة ومباحث تحرر وتواريخ تسطر ومحاضرات تتوالى واستفادات وإفادات يحرص عليها، يملأ ذلك كل طرفي النهار حتى لا تقع إلا على أستاذ أو تلميذ أو مطالع أو منقب بين الكتب... انظر إلى هذا فأقول أن هذه المدرسة تؤدي وظيفتها وينبوع معارف يكرع من نمرها**".([223])

ومن هنا يتضح لقارئ الكتاب أن المعتقل كان محطة مهمة في حياة العلامة سيدي المختار حيث حرص على إلقاء المحاضرات وعقد المجالس الأدبية والعلمية ومختلف الندوات الفكرية وغيرها من الأنشطة الثقافية التي تدخل في باب العلم والتعلم، و كان المهدي بن بركة – الشاب النشيط- هو الذي يشرف على تنظيم هذه المحاضرات واللقاءات العلمية. وقد أنشد قائلا في كتابه المعسول في جزئه الرابع:

حتى متى شعبي يقيده الجهل كأنما لم يكن قطب السيادة من قبل

ولعل من أهم المظاهر التي سادت في كتاب معتقل الصحراء هو المظهر الاجتماعي، فأول شيء يثيرنا منذ الوهلة الأولى، هو أن هذا المعتقل كان يضم كل شرائح المجتمع، من كل منطقة في المغرب، فكأننا في هذا المعتقل

---

[220]) إصدار لندوة علمية بعنوان: "العلامة محمد المختار السوسي رمز الوطنية الخالصة ومثال المفكر المغربي الأصيل"،نظمتها المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير بمدينة الرشيدية في مستهل شهر دجنبر 2008 تزامنا مع حلول الذكرى 75 لمعارك جبل بادو وتكريما لشخصية متعددة الاهتمامات ومتكاملة الجوانب والأبعاد متمثلة في الرجل الوطني الكبير العلامة محمد المختار السوسي.انظره على رابط المندوبية:http://www.hcar.gov.ma/ar/revuesouvrages3.php

[221])انظر مقال:" الفكر السلفي والتصوف الطرقي قطيعة أم اتصال"،عبد المجيد الصغير، مجلة المناهل، ص 58

[222]) عبد المجيد الصغير،م.س، ص.58-59

[223]) معتقل الصحراء،م.س، ج1، ص195.

أمام صورة مجتمع مصغر، إذ نجد في الكتاب بعض الألقاب التي توحي لنا بالمدينة التي ينحدر منها كل واحد من هؤلاء المعتقلين، حقيقة لم يحدد لنا المؤلف المنطقة بالضبط، لكننا نتبينها من خلال ألقابهم من مثل الفاسي، المكناسي، السجماسي، القصبي ، بني أزرو ، الفكيكي، آل بركاش...،كما أن هذا المعتقل جمع في جعبته المغربي الأمازيغي، ورغم ذلك لم نلاحظ في الكتاب ذكر أي نوع من التعصب أو الميز، بل ساد في المعتقل نوع من التسامح والاحترام المتبادل، وكذلك تبادل الإفادة والاستفادة بكل اللهجات السائدة في المعتقل، إذ أن هناك من حضر دروس في المقارنة بين الألفاظ الأمازيغية والدارجة ، ومنهم من جمع الأمثال الأمازيغية ويذكر كمثال لذلك العلامة سيدي المختار السوسي ما فعل الأستاذ والعلامة سيدي محمد الفاسي وفي هذا الاطار يقول: "**كان لهذا الاخ ولوع كبير بجمع الامثال المغربية سواء باللهجة الدارجة أو بغيرها من اللهجات البربرية والشلحية التي يتكلمها بعض سكان المغرب، وكنت أنا أساعده فيما يتعلق بذلك من الأمثال السوسية**"([224]).

ومن هنا نستشف روح التضامن والتعاون التي تسود بين نزلاء هذا المعتقل، وفي هذا الاطار يذكرعبد المجيد الصغير: "...**وقد نشأت بين المعتقلين رابطة قوية زادتها مثانة الرغبة في الانعتاق وخيمت عليها وحدة التفكير المتنوع**" ([225])، إذ أن هذه الرابطة ولدت نوعا من الألفة ونوع من التكافل الاجتماعي، لأن كل أفراد المعتقل توحدهم الوطنية والدين الإسلامي والعروبة والإخوة "**كانت الأخوة تسود المعتقل دائما**"([226])، وهذا المعتقل الذي كان يتسم بنوع من التنوع والاختلاف من حيث التخصصات والشعب ومن حيث المناطق التي ينحدر منها كل واحد، ومن حيث الأعمار ،فكان الشيخ بمثابة الأب لشباب المعتقل وهذا الأخير يعتبر الشيخ قدوة ومثلا له، لهذا نرى صور الاحترام والتقدير والمودة التي كانت تطبع علاقاتهم ببعض، ويقول الأستاذ عبد المجيد الصغير: "**إلا أننا نقف موقف الإعجاب والتقدير لتلك العلاقة ولتلك الروح التي كانت سائدة بين ثلة من الوطنيين السجناء في الصحراء وفي ذلك السجن الذي العلامة سيدي المختار السوسي بتفصيل والذي أصبح يضم مجموعة من الوطنيين شيوخا وشباب متعددي المشارب الثقافية**"([227])

اذن فمن خلال قراءتنا للكتاب نستخلص أن أفراد هذا المعتقل الصحراوي كانوا يعيشون في جو تسوده وسائل الراحة، وكل الوسائل العلمية والمعرفية وكأننا لسنا أمام أفراد معتقلين، إذ كنا نظن قبل قراءة هذا المؤلف إلى أننا سنجد كل مظاهر المعاناة، ورصد الهموم التي تطال المعتقلين كما وصفها لنا احيانا كثيرة جل من مر بمثل هذه التجربة المريرة، ولكن نفاجأ إلى أننا إزاء معتقل من نوع فريد إذ يقول سيدي المختار:"...**ذلك هو معتقلنا أو الذي اصطلحوا على أن يسموه بمعتقلنا، وإن كنت أنا أسميه جنتنا التي لا لغوا فيها، ولا تأثيم، ولا أحزان**

---

[224]) معتقل الصحراء،م.س، ج1، ص96

[225]) مقال:"الفكر السلفي والتصوف الطرقي قطيعة أم اتصال"،عبد المجيد الصغير، مجلة المناهل،م.س، ص 59.

[226]) انظر: معتقل الصحراء، م.س،ص145

[227]) مقال:"الفكر السلفي والتصوف الطرقي قطيعة أم اتصال"، عبد المجيد الصغير، ص 58

ولا هموم، فيها إخوان على سرر متقابلين" ([228])، ويقول كذلك عن هذا المعتقل ما يلي: "**كثيرا ما أفكر في معتقلنا فأقول: هل الواقع أن هذا معتقل حقيقة فأين آثار الاعتقال، وأين هموم الاعتقال، وأين تضييقات الاعتقال، أنحن وكلنا سابحون في نعم زاخرة**"([229])

وأخيرا نختم الكلام عن هذا الكتاب الفريد من نوعه بالقول ان العلامة سيدي المختار قد زاوج فيه بين الشعر والنثر، إلا ان كفة الميزان تميل في غالبه نحو المنظوم ، رغم ان هذا الكتاب في عمومه بمثابة ديوان لمجموعة من القصائد . التي بلغ عدد اشعارها وقوافيها حوالي 118 قافية تتراوح ما بين الطول والقصر، وتعددت فيها المواضع واختلفت باختلاف تقلبات الاحداث وتواليها- التي تعتبر وثيقة هامة تؤرخ للفترة التي عاش فيها السوسي ولكل الأحداث عرفها المغرب اناذاك، ويحمل هذا الكتاب في طياته عدة أسماء لها وزن وحمولة في الثقافة والفكر والوطنية، لهذا فقد اهتم بجانب التراجم من أجل التعريف بأقرانه ورفاقه داخل ذلك المعتقل الصحراوي.

ومن بين الملاحظات التي أثارت انتباهنا كذلك ونحن ندرس الكتاب هو أنه يزاوج بين المكون الأدبي والمكون التاريخي، رغم ان هذا الاخير ينفرد بحصة الأسد في معظم كتابات العلامة سيدي المختار السوسي لهذا نبه القراء لذلك في مقدمة كتابه معتقل الصحراء بقوله:"**فما لا ينشرح له صدر الأديب، فقد ينشرح له صدر المؤرخ**"، ويعتمد على هذا المكون التاريخي كثيرا في المذكرات والمسائل التي تحتاج إلى التاريخ من أجل المحافظة عليها وهنا يذكر احمد زنيبر:"... **فالسارد يوجه مذكراته صوب غاية أدبية وتاريخية في نفس الوقت**"([230])، فكان كثيرا ما يدعو إلى استحضار التاريخ كقيمة حضارية، لذلك حاول المؤلف من خلال كتاباته التاريخية مقاومة الذاكرة لظاهرة الفراغ والضياع والنسيان والاهمال ، وتبعا لذلك فقد اهتم كثيرا بتدوين التراث وحمايته من النسيان، وخاصة التراث السوسي، حيث عمل على جمع كل فطاحل سوس من علمائها وفقهائها و شعرائها، فأنتج بذلك مؤلفات تنحو منحى الحفاظ على التراث والتعريف به في الأوساط الثقافية.

ومسك الختام، فكتاب "معتقل الصحراء" يعد وثيقة تاريخية مهمة، تؤرخ لأبرز المحطات التي شهدها المغرب عامة ومنطقة سوس خاصة، حيث عاشت فترة من المخاض إذ كانت آنذاك موجة عارمة من المضايقات استهدف بها المستعمر الفدائيين والمقاومين، فكل منهم دافع بسلاحه المادي والمعنوي، لأن الأحداث كانت متتابعة على المغاربة إلى درجة جعلتهم ينفجرون من وقع الهزيمة والخسارة التي تنبيء بطوفان قادم إلى الأمة المغربية. فأصبحت بذلك الكلمة المشكاة التي تنقل الواقع وترصد الأحداث التي يؤرقها السياسة. فهذه الفترة كانت فترة إقامة السجون السياسية، وسعى المثقف المغربي إلى نقل الواقع وتصويره، فالمقاومون كان شغلهم الشاغل – في هذه الفترة- هو الحماس السياسي مقابل ايديولوجية المستعمر في القمع والتدنيس، فالمغرب بأكمله من الشمال إلى الجنوب ومن

---

[228])انظر كتاب معتقل الصحراء،م.س، ج1، ص195

[229])معتقل الصحراء، م.س، ص194.

[230]) مقال: "استراتيجية الكتابة في مذكرات محمد المختار السوسي"، أحمد زنبير، م.س، المناهل. 2005

الغرب إلى الشرق، كان يعيش هذا المخاض، فاشتد النزاع وارتفعت حرارة الأفكار، وبما أن المختار السوسي في ذلك مثل باقي المعتقلين الذين عاشوا هذه الفترة، فقد خصص كذلك قلمه لتعرية واقع المعتقلين وكشف النقاب عنه. لذا كرس كل الوقت الذي قضاه في المعتقل في كتابة مذكراته، ذلك ان المعتقل كان بالنسبة اليه فرصة للخلق والابداع، فهي إذن حقيقة تاريخية واجتماعية أدت إلى إفراز حصيلة تاريخية وثقافية زاخرة متفاوتة في الكم والكيف والتعميق والتسطيح، ومتفاوتة كذلك من حيث القناعات والأفكار، وهكذا اعتبر المعتقل مرتعا خصبا لولادة الانتاجات وترعرعها في شتى المجالات، ومن هنا تظهر لنا القيمة العلمية والتاريخية لهذا الكتاب الذي فتح صاحبه – من خلاله– الستار عن أحداث المغرب وكشفها للأجيال اللاحقة من أجل مقاومة الذاكرة للفراغ والضياع، وهكذا تم تدوين كل شيء بحذافيره وتفاصيله ونقله لكي يكون يوما ما بين يدي القارئ ليكون على علم بتجربة المنفى وكذلك على علم بالأبطال الذين جعلوا على عاتقهم واجب استرجاع التراب المغربي من حوزة المستعمر([231]).

❖ **2:الالغيات:** يقول المختار السوسي عنه في المقدمة:"هذا **كتاب كالكشكول يضم ما بين دفتيه كيف النفي سنة 1355هـ إلى مسقط رأسي وأسبابه وكل ما يروج حولي أو أروج فيه، أو نظمته من القوافي..أو خوطبت به من الإلغيين الأدباء. كما يضم أفكارا وخواطر سانحة ومقالات دعت إليها الحاجة..والمقصود من كل ما يضمه الكتاب أن يكون صوانا للمذكرات. ولكل ما يسنح حولي هناك .كيفما كان**"([232]) فالغاية تبدو جلية، من خلال هذا الشاهد، إذ تتوجه رأسا إلى ترصد الذكرى وتصيدها كلحظة عابرة في الزمان والمكان، من أجل إحيائها وإعادة بعثها من جديد. كما يظهر التنوع مقصودا في الجمع بين القوافي والأفكار والخواطر والمقالات جلبا للفائدة التاريخية، واستدعاء للمتعة الأدبية، في ذات الآن. ضمن هذا السياق الاسترجاعي، نجد محمد المختار السوسي يوظف الكتابة باعتبارها وسيلة تعبير يتعايش داخلها الأدبي والتاريخي، من ناحية، وباعتبارها أداة لمقاومة النفي والاغتراب والفراغ، من ناحية ثانية. يقول في جزئه الثاني من كتاب الإلغيات: **"حمدا للذي آنسني بهذا اليراع، ومد لي من تحت ظلاله الوريفة متعا لولاها لانشقت المرارة في الضلاع، وذابت الكبد من وهج الالتياع، وانصهر الفؤاد من هذه الغربة التي تكتنفني من كل جانب**"([233])

إن مذكرات العلامة سيدي محمد المختار السوسي، لتسد فراغا، من بين فراغات عديدة ، تتمظهر أولا في تحصين الذات الكاتبة من كل إهمال أو نسيان يمكن أن يحول بينها وبين تحقيق التواصل الرمزي مع كيانها ومع الآخر. كما يتمظهر ثانيا في جلب الأنس والمؤانسة حين يغالب التذكر والحنين فيتورط القارئ، بصورة أو بأخرى،

---

[231]) مداخلة الكاتب عبد الكريم الجويطي ،"قراءة في نص كتاب معتقل الصحراء للمختار السوسي وارتباطه بأدب السجون"، نظمها فرع الاتحاد ببني ملال وبتعاون مع وزارة الثقافة ندوة :الذاكرة والإبداع قراءات في كتابة ومحكيات السجن ،وذلك يومي 23 و24 يونيو بمقر الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين

[232]) الإلغيات. محمد المختار السوسي. مطبعة النجاح. الدار البيضاء. 1963. ج 1 ،ص 3

[233]) الإلغيات. ج 2 ،ص 3

في الإنصات إلى تداعياتها والإمعان في انزياحاتها.فالمختار السوسي، حين يجعل من ذاته موضوعا لهذه الذكريات، تجده يصف أدق المراحل التي مر بها أو مرت به في معاناة النفي، فيسجل، لحظة بلحظة، مرارة ذلك البعد وألم تلك الوحدة، دون أن ينسى إشراك القارئ واستدراجه فيما يريد أن يبثه من خواطر وحقائق. وفي هذا الاطار يقول: "**كنت أحب أن أكتب في أسباب هذا النفي جزءا خاصا. وبدأته بالفعل وحررت فيه بعض صفحات ولكنني ألقيته ظهريا لأشغال أخرى أهم. ولكن لخوف أن تضيع من ذلك حقائق ينبغي أن لا تضيع بل يجب أن أسطرها للمستقبل. رأيت أن ألخص ذلك هنا. فإنه حيث لا يتيسر تخصيص ذلك بجزء. فإن هذا الكتاب الذي نسميه منذ الآن "الإلغيات" أولى من غيرها وليتمش معي القارئ بتؤدة حتى أنفض إليه ما أريد أن أنفضه إليه. وليعلم أنه يقرأ ما كتب تحت صدمة النفي من قلم غريب الفكر والمسكن والبيئة.**"([234])

وتأسيسا على ما سبق، يمضي محمد المختار السوسي مسترسلا في ذكر مختلف الأسباب التي أدت إلى نفيه من مراكش وما تعرض له من مواقف متعددة من أجهزة الحكومة التي أساءت إلى شخصه وكرامته ولم تستحضر له ما قدم من خدمات جليلة للعلم وللوطن([235])فتمسكه بالقيم والمبادئ الإسلامية وتشبعه بالأفكار الوطنية والقومية كانت وراء تلك الوضعية الأليمة التي اكتوى بنارها حيث التضييق والحصار، في البداية، ثم النفي والاغتراب، في النهاية. لقد كان حرص محمد المختار السوسي على تدوين كل ما مر به من وقائع وأحداث وإن كانت عابرة، وما صدر عنه من مواقف ومنظومات تفاوتت شعريتها، موجها، في المقام الأول، إلى خدمة التاريخ بمفهومه الواسع. يقول المختار: "كما أنني أيضا أضع فيه كل ما جاشت به الفكرة كيفما كان. فلذلك يرى فيه القارئ بعض منظومات صدرت مني. لا تمت إلى الشعر إلا بالوزن وحده والقافية. وكان الأجدر —لو كنا ننتخب – أن يلقى غالب ذلك في سلات المهملات. ولكن حرصا على ما يحيط بحياتي في هذه الغربة وعلى تقييد كل ما أمكن من الخواطر التي ترد علي فيها...وأنا أكتب للتاريخ الذي يقبل كل شيء لا للأدباء وحدهم الذين لا تستهويهم إلا النخب العبقرية([236])"

3:ذكريات: لقد تنوعت مراسلات محمد المختار السوسي، المتضمنة في أحشاء مذكراته وذكرياته، تبعا لتنوع أقلامها وتعددت بتعدد أصحابها. يقول المختار في تقديمه لهذا الكتاب"**مجموعة فيها رسائل وقصائد من الإخوان تغربت معي، فأردت أن أخلدها جزاء لها حين تؤنسني، كلما أمررت بصري عليها...إن هذه ما استحقت عندي هذا الاعتناء،إلا لكونها من أوداء يعزون علي، وقد حفظت لي أنفاسهم، فكانت تفوح بها علي كلما راجعتها، وأعدت تلاوتها...فهي جارة قلبي حين أقرأها فأضمها إلى صدري**"([237]).ففي هذا الشاهد، تبدو

---

[234]) الإلغيات. ج 1 ،ص 7

[235]) انظر تفاصيل ذلك في الإلغيات. ج 1 ،ص 7-75

[236]) الإلغيات. ج 3 ،ص 4

[237]) ذكريات . محمد المختار السوسي. مطبعة الساحل. الرباط. 1984. ص 3

العلاقة بين المؤلف ونصوصه المستعادة حميمة تتحكم في نسج أبعادها الوجدانية سيولة اللغة وإحكام الصنعة وجمالية التأليف، دونما الحديث عن أفق التداعي في اختراقه لفضاء التداول، تشكيلا وإيقاعا. بل إن بحث المؤلف عن المتعة والمؤانسة ومعهما تخليد الحدث وتكريم الشخص المترجم له طبعا، هو ما يحرك هاجس الكتابة ويتحكم في وضع استراتيجيتها المعتمدة.

هكذا حين يعرض المختار لنخبة من الأدباء والشعراء والأصحاب الذين جمعته وإياهم صلة من قريب أو من بعيد، تراه يستعيد ذكرياته الماضية معهم بكل تفاصيلها أحيانا، معبرا بذلك عما يعتريه من إحساس عميق كلما أعاد أو استعاد لحظة التذكر تلك، وهو إحساس الأنس والتلذذ بالنص وصاحبه وفاء له واحتفاء بتجربته([238]). يقول: "**مددت يدي إلى بعض آثار من رسائل الإخوان قدر لها أن توافيني في منفاي، فصرت أقلبها فأجدني إزاءها، كأنما توصلت بها اليوم، مع أن بعضها مر عنه سنوات، فظلت ساعة طويلة أقرأها وحدي في غرفتي هذه، حيث لا أنيس ولا جليس ولا سميع، فوجدت لقراءتها من اللذة والغبطة ما كنت لو تيسر لي أن أتوصل من جديد برسائل أخرى من أولئك الإخوان**"([239])

ولعلنا من خلال البحث في المذكرات، نستوضح كيف يتحدث محمد المختار السوسي عن ذاته وكيف يكتب عنها تأريخا وترجمة. فأخباره وأشعاره التي أوردها، هنا وهناك، والشخصيات والأسماء التي احتفى بأعمالها، تؤكد أن استراتيجية الكتابة في هذا المضمار، رامت تحقيق جملة أهداف، منها:

- 1: استحضار التاريخ كقيمة حضارية.
- 2: مقاومة الذاكرة للفراغ والنسيان
- 3: دعوة الذات إلى التأمل واستخلاص العبر.
- 4: تفعيل التواصل عبر وسيط اللغة.
- 5: الدخول في محاورة مفتوحة مع الذات والآخر.

هذه الأهداف، وغيرها، تمت بلورتها، كما ألمحنا، بأشكال إبداعية متفاوتة الحجم والدلالة، نثرا وشعرا، حيث امتزج خلالها النص المستعاد بالذات الكاتبة. هذه الأخيرة التي ارتسمت صورتها، ضمن فضاء هذه المذكرات، وقد أفعمت بالحياة والتجدد والتنامي رغم كل المعيقات التي واجهتها.إنها الكتابة في بعدها السامي وفي قدرتها على جلب التواصل وتوجيه التعبير، من جهة، وبفضل ما أوتيت من كفايات وقدرات جعلت من وسيلتها اللغوية رمزا لتطوير الثقافة، بمفهومها الشامل، ومدخلا لإثبات الذات والهوية، من جهة ثانية.هكذا إذن، تبقى القيمة الأدبية

---

[238]) انظر أسماء هذه الشخصيات التي أوردها المؤلف في كتابه(ذكريات)

[239]) ذكريات . ص 6

والتاريخية لمذكرات محمد المختار السوسي مرتبطة بنوعية قراءتها، كما تظل القيمة الإبداعية والجمالية لهذا الصنف من الكتابة مرتبطة أيضا بأشكال تلقيها وصيغ تأويلها.([240])

و لقد أسفر هذا الجهد الاستثنائي عن تزويد المكتبة المغربية خصوصا، والمكتبة العربية والإسلامية عموما بمادة تاريخية متميزة كما وكيفا، مع ضبط منهجي ووعي تاريخي ندر أن يتوفرا لدى الكتاب والمؤرخين المعاصرين له. ولولا ما كان يتحلى به المختار السوسي من وعي ومثابرة وصبر ومرونة، ما تيسر له ذلك الإنجاز الذي لا يمكن لمن أتى بعده إلا أن يرجع إليه ويعتمده .لكن الأهم في إنجاز المختار السوسي التاريخي هو أنه كان يدخل بوعي في مشروعه الإصلاحي، في اندماج وتكامل مع مشروعيه التعليمي والتربوي. فقد عبر صراحة عن أهدافه المتوخاة من وراء ذلك الجهد التاريخي. ويمكن تلخيص أهمها فيما يلي :

- تحصين التاريخ الحضاري للبلاد وحماية ذاكرتها التاريخية من الاندثار.
- مواجهة التشويه الاستعماري للتاريخ المغربي ولواقع المجتمع المغربي.
- توفير المادة التاريخية للأجيال المقبلة حتى يتمكنوا من إتمام استقلال البلاد فكريا وثقافيا ولغويا وحضاريا.
- توفير المادة التاريخية التي ستمكن من "إفادة المؤرخين غدا"، ومن إنجاز "التاريخ العام للمغرب."

ونكتفي هنا بنصين من نصوص المختار السوسي الوافرة التي تتضمن تنصيصه الواضح على تلك المقاصد. يقول في مقدمة كتاب "سوس العالمة": "**وكم مدارس وزوايا علمية إرشادية في هذه البوادي لا تزال آثارها إلى الآن ماثلة للعيون، أو لا تزال الأحاديث عنها يدوي طنينها في النوادي، فأين ما يبين كنه أعمالها وتضحية أصحابها، وما قاساه أساتذتها وأشياخها في تثقيف الشعب وتنوير ذهنه، وتوجيهه التوجيه الإسلامي بنشر القرآن والحديث، وعلوم القرآن والحديث، من اللغة والبيان والفقه وسيرة السلف الصالح؟ أفيمكن أن يتكون التاريخ العام للمغرب تاما غدا إذا لم يقم البناء اليوم – والعهد لا يزال قريبا، ولما تغمرنا أمواج هذه الحضارة الغربية الجارفة التي تحاول منذ الآن حتى إفساد ماضينا بما يكتبه عنا بعض المغرضين من أهلها – بجمع كل ما يمكن جمعه** ."

ويقول في مقدمة "المعسول": "**نحن نوقن أنه سيأتي يوم يثور فيه أولادنا أو أحفادنا ثورة عنيفة ضد كل ما لا يمتّ إلى غير ما لآبائهم من النافع المحمود. ثم يحاولون مراجعة تاريخهم ليستقوا منه كل ما في إمكانهم**

---

[240]) أحمد زنيبر:"استراتيجية الكتابة في مذكرات محمد المختار السوسي "،مجلة المناهل العددان75 /76 ،وزارة الثقافة المغربية أكتوبر 2005.

http://www.minculture.gov.ma/index.php?option=com_content&view=article&id=588:zniber-mokhtar-essoussi-essai&catid=51:etude-et-essais&Itemid=153

استدراكه. فلهؤلاء يجب على من وفّقه الله من أبناء اليوم أن يسعى في إيجاد المواد الخام لهم في كل ناحية من النواحي التي تندثر بين أعيننا اليوم. وما ذلك إلا بإيجاد مراجع للتاريخ يسجل فيها عن أمس كل ما يمكن من الأخبار والعادات والأعمال والمحافظة على المُثل العليا. بل يسجل فيه كل ما كان ولو الخرافات؛ أو ما يشبه الخرافات، فإن منهم من سيأتون في الغد سيلتهم كل ما يقدم إليه كيفما كان؛ ليستنتج منه ما يريد أن يعرفه عن ماضي أجداده ".

وبخصوص مقومات نجاح العلامة محمد المختار السوسي في مشروعه الثقافي **يقول الاستاذ اليزيد الراضي** ان هناك أناس كثيرون يعبرون الدنيا كما يعبر النهر، يأتون إليها ويخرجون منها دون أن يكون لهم فيها أثر يذكر، ودون أن يخلفوا فيها ما يعطر ذكرهم بعد الموت.وهناك أناس قليلون تركوا في الدنيا – بعد رحيلهم – دويا ما يزال صداه يتردد في أذن التاريخ، وما تزال الأجيال المتلاحقة تستفيد من عطائهم وتتزود مما خلفوا من فكر ثاقب، وآراء متبصرة، ومازالت بصماتهم الجميلة واضحة في التاريخ الإنساني، ومازال إسهامهم المتميز محفوظا لهم في سجل الحضارة البشرية.ومن هذه الفئة الثانية القليلة، هذا الرجل العظيم، العلامة المؤرخ الأديب الوزير سيدي محمد المختار السوسي، الذي كان أمة وحده، يطرح في هذا الصدد مجموعة من الاسئلة وهي كما يلي:بماذا نجح العلامة محمد المختار السوسي؟ وبماذا حقق ما حقق؟ وما السر في نجاحه في مشروعه الثقافي الضخم الذي أسس به للسوسيين خاصة وللمغاربة عامة وللعرب والمسلمين والناس كافة بشكل أعم، خدمة جليلة، لا يستهين بها إلا من لا يعرف الفضل لذويه، ومن ينكر الشمس في رابعة النهار؟ وأظن أن الجواب عن هذه التساؤلات يمكن في الأمور الهامة الآتية:

1 – وضوح المشروع: لم يقدم محمد المختار السوسي رحمه الله على ما أقدم عليه إلا بعد أن تبين مواقع خطاه وتبلور المشروع في ذهنه واتضحت الرؤية لما فيه الكفاية، وحدد الأهداف التي يسعى لتحقيقها، ولم يكن من الذين يقدمون على أمور ضبابية لم يتبينوها بعد ولا من الذين يمتشقون القلم ويكتبون دون وعي بما يكتبون، ودون معرفة بما يريدون، إنه رحمه الله واع تمام الوعي بما يصنع، ومقتنع تمام الاقتناع لأهمية ما أقدم عليه، ومسطر للأهداف النبيلة التي يعمل كل ما بوسعه لتحقيقها، فلم يكن عمله مغامرة، ولم يسر في الطريق المسدود، وإنما كان عمله مشروعا ثقافيا واضحا، يعرف ما يحيط به من صعوبات، وما يتطلب من تضحيات، ويعرف قيمة وأهمية النتائج التي سيسفر عنها.ومقدمات مؤلفاته تكشف عن جديته في عمله، ووضوح مشروعه ورؤيته وأهدافه ولنقتصر في هذه العجالة، على مقدمة موسوعته النفسية المعسول التي ذكر فيها أهدافا واضحة جعلها نصب عينيه، وسعى وراء تحقيقها ومن أهمها:

- أ – أنه لاحظ اندفاع الشباب المغربي بعد الاستقلال إلى معانقة الحضارة الغربية بما لها وبما عليها، مع ما رافق ذلك من التفريط في المثل الدينية العليا، والتفريط في اللغة العربية وآدابها، وهو رحمه الله موقن بأن الأجيال اللاحقة ستستعيد رشدها في يوم من الأيام، وستثور ضد العادات والأفكار الدخيلة التي لا تمت إلى شخصيتها

وهويتها بصلة، ولذلك أراد أن يضع أمام هذه الأجيال المواد التي تمكنها من استعادة ذاكرتها واسترجاع أمجاد آبائها وأجدادها، قال رحمه الله:" **فلهؤلاء يجب على من وفقه الله من أبناء اليوم أن يسعى في إيجاد المواد الخام لهم في كل ناحية من النواحي التي تندثر بين أعيننا اليوم، وما ذلك إلا بإيجاد مراجع للتاريخ يسجل فيها عن أمس كل ما يمكن من الأخبار والعادات والأعمال والمحافظة على المثل العليا، بل يسجل فيه كل ما كان ولو الخرافات، أو ما يشبه الخرافات، فإن نهم من سيأتون في الغد سيلتهم كل ما يقدم له كيفما كان، ليستنتج منه ما يريد أن يعرفه عن ماضي أجداده، وهذا أحد مغازي هذا الكتاب الذي بين يدي القارئ.**"[241]

- **ب –** أنه عندما زار الزاوية الدلائية، ولاحظ اندثار أخبارها وآثار علمائها، تأكد لديه أن الخلود للعلماء والأدباء لا يكون إلا بالتسجيل بالأقلام، وتذكر سوس التي تحتضن من أمثال الزاوية الدلائية العشرات، فاختمرت في ذهنه فكرة تسجيل أخبار علماء سوس وأدبائها وانتظر الفرصة المواتية فكان نفيه إلى إلغ سنة 1355هـ /1936م،بداية هذه الفرصة.([242])

- **ج –** أنه عندما كان منفيا لمسقط رأسه إلغ، بدأ يسجل الرواية الشفوية من أفواه الرجال مادة لكتابه من " أفواه الرجال" ، وجده أخوه احمد عشية يوم مكبا على تسجيل كل ما يسمع، فقال له: " ماذا تصنع الآن؟ فإن كنت لابد كاتبا، فهيئ لنا كتابا عن إلغ وعن كل من مر فيه من العلماء والأدباء والحوادث ليكون ككتاب آل زاوية تيمگدشت الذي ألفه العربي المشرفي الفاسي([243])يقول المختار السوسي:" **فكانت هذه الكلمة من الأخ هي البذرة الأولى من هذا الكتاب، ثم نظمته تنظيما يكاد يستوفي كل أعمال زوايا سوس ومدارسها، مع الإلمام بأخبار بعض رؤسائها والحروب بينهم وجميع رجالات الأسر العلمية تفصيلا..**" [244]

- **د –** أنه أراد أن يعرف القراء بإسهام السوسيين الأمازيغ في خدمة اللغة العربية، ونشر علومها وآدابها، وفي هذا الاطار يقول:" **لأن المقصود أولا وآخرا أن يرى القارئ مشاهدة ما يقوم به جانب من جوانب المغرب، يضم طائفة من أبناء أمازيغ الشلحيين البدويين، في نشر اللغة العربية وعلومها وآدابها وقد أولعوا بذلك ولوعا غريبا، فقاموا بأعظم دور في ذلك بجهودهم الخاصة من غير أن تعينهم الدولة.**"([245])

---

[241]) المعسول، ج1، ص د من مقدمة الكتاب .

[242]) المصدر نفسه.

[243]) – نفسه، ص: هـ.

[244]) نفسه، ص: و.

[245]) نفسه.

○ **هـ –** أراد أن يعبد الطريق لمن يأتي بعده، وأن يشجعه على مواصلة السير لتنمية المشروع وتطويره، قال:" **نطلب الله أن يأتي بمن يستتم ما ينقص الموضوع، أو يصحح الأغلاط، وما ذلك على شبابنا الذي نراه يشارك اليوم في هذا الميدان ببعيد**".([246])

2 – امتلاك مقومات التأليف: يقول الاستاذ اليزيد الراضي أ، العلامة سيدي المختار السوسي رحمه الله لم يتصد للتأليف، ولم يقتحم غمار البحث الجاد الهادف، ولم ينطلق في إنجاز مشروعه الثقافي الطموح، إلا بعد أن استعد لذلك استعدادا كافيا، وامتلك الأدوات الضرورية، وحمل معه جواز المرور إلى ذلك العالم الفسيح فهو لم يتطاول على التأليف، ولم يتطفل على درب لا يحسن السير فيه، ولم يكن ممن يقال لهم ليس هذا بعشك فادرجي، وإنما أتى بيوت التأليف من أبوابها، وتصدى لفتح أبواب يملك مفاتيحها، وسار في طريق لا تعثر فيها رجله، ولا تحار فيها قطاته. ويمكن أن نختزل مقومات التأليف التي امتلكها فيما يلي:

❖ **أ – الكفاءة العلمية:** فهو رحمه الله عالم متمكن، درس العلوم اللغوية والشرعية الرائجة في سوس خاصة وفي المغرب عامة، وتفوق فيما درس، وأتقن الفنون العلمية التي تعاطاها، وأضاف إلى دراسته المنظمة دراسته الحرة التي تمثلت في إقباله على المطالعة، وشغفه بالقراءة خاصة في مجال التاريخ والأدب، كما قال – متحدثا عن نفسه – :" **فقد أولعت منذ عرفت قبيلي من دبيري، وميزت يميني من شمالي، بالتاريخ والأدب، وبمطالعة كتبهما، فلا أظل ولا أبيت منذ كحلتني العربية بإثمدها، وأذاقتني حلاوة معانيها الطلية، فأنستني بخمرتها، إلا بين كتاب أبتدئه وآخر اختتمه**.."([247]) فاتسعت مداركه، ونما رصيده المعرفي، وعلا كعبه في كثير من المجالات الثقافية، وأصبح مشاركا موسوعي الثقافة.وهذا التمكن العلمي جعل مؤلفاته جمّة الفوائد غزيرة العوائد، توسع الأفق المعرفي للقارئ، وتشحذ ذهنه، وتنور فكره، وتزوده برصيد علمي هام، ويتسم بالغنى والعمق والسداد.

❖ **ب – الكفاءة اللغوية:** أعطى المختار السوسي للغة العربية وعلومها وآدابها عناية خاصة، أيام دراسته وطيلة حياته، فحقق فيها نتائج باهرة، وتضلع فيها تضلعا غريبا، وبذ فيها أقرانه من البدويين والحضريين، بالرغم من انتمائه إلى العنصر الأمازيغي، فلنستمع إليه يتحدث عن نفسه وعن أدباء إلغ، ويقول: " فالحمد لله الذي هدانا حتى صرنا – نحن أبناء إلغ العجم – نتذوق حلاوتها [أي حلاوة العربية] وندرك طلاوتها، ونستشف آدابها، ونخوض أمواج قوافيها، حتى لنعد أنفسنا من أبناء يعرب، وإن لم نكن إلا ،بناء امازيغ، فالإنسان بذوقه وبما يستحليه عند التعبير، لا بما رضعه من ثدي أمهاته، واللسان بما تفتح له به المعاني الحلوة لا بما يتهدج به من لغة يرثها لا تعد من نبع ولا غرب؟ فاللغة العربية عندنا – معشر الإلغيين – هي لغتنا حقا التي نعتز بها، لأن بها مراسلتنا ومخاطبتنا حين نريد أن نرتفع بأنفسنا عن مستوى جيراننا وأبناء جلدتنا من الحربليين والوفقاويين والمجاطيين والساموكنيين، وتلك نعمة أنعم الله بها علينا بفضله وكرمه، حتى إننا لنرى أنفسنا من ورثة الأدب العربي، فنغار إن

---

[246]) نفسه، ص: ز

[247]) – نفسه، ص: 14.

مسّه ماس بفهاهة، وتدود عن حماه إن أحسسنا بمن يريد أن يمسه بإهانة، فنحن عرب أقحاح من حرشة الضباب، والمستطيبين للشيح والقيصوم، وإن لم تكن أصولنا إلا من هؤلاء الذين يجاورونا من أبناء الشلحيين الأماجد." (248)

وتتجلى الكفاءة اللغوية عند المختار السوسي في مظاهر عديدة أهمها ثلاثة:

■ 1:الإلمام الواسع بمتن اللغة العربية، لدرج أنه أصبح عمدة في القاموس كما يؤيد ذلك طلب بعض زملائه منه في منفى أغبالو نكردوس أن يدرس لهم القاموس، قال رحمه الله في معرض حديثه عن النشاط الدراسي العجيب الذي شهده ذلك المعتقل: "**ولمعرفة الناس هنا بكلفي بالتعليم وبالتعلم، صار كل واحد يقترح عليّ درسا خاصا، حتى الأستاذ الفاسي اقترح أن نمر بالقاموس، كما اقترحه أيضا الأستاذ الكتاني.**"([249])

■ 2:حذق علوم اللغة العربية نحوا وصرفا وبلاغة، كما تشهد بذلك مجالسه التعليمية في الحمراء، وفي معتقل الصحراء، وما خلفته تلك المجالس من دروس محررة قيّمة. ([250])

■ 3:التحكم في ناصية اللغة العربية، والعلم الواسع باستعمالاتها الحقيقية والمجازية والقدرة الفائقة على التعبير الرصين بأسلوب أدبي جميل يتجاوز الإفادة والإقناع إلى الإطراب والإمتاع.

ولاشك أن الكفاءة اللغوية العالية التي كان المختار السوسي يتحلى بها كان لها دور كبير في نجاح مشروعه الثقافي، لأنها ضمنت لمؤلفاته الفائدة والمتعة وجعلت جسور التواصل ممتدة باستمرار بيته وبين قرائه، فعلى الرغم من كثرة ما كتب وحرر، ووفرة ما قيّد وسطّر، لا نشعر بضعف في عباراته أو ركاكة في أسلوبه بل نحس في كل ما كتب بالجزالة والقوة، ونحس بحلاوة البيان، وروعة العبارة وإشراق الديباجة، وتمام الوضوح ودقة التنظيم.

❖ **ج – الكفاءة المنهجية:** إن سلامة المنهج وصلاحيته، من الشروط الأساسية لنجاح أي مشروع ثقافي كيفما كان حجمه وطبيعته، ولذلك نرى أن الكفاءة المنهجية لا تغني عنها الكفاءاتان العلمية واللغوية، لأن المنهج السليم، هو الذي يحول العلم واللغة إلى بناء متماسك يقي الذهن والوجدان من حر وبرد الفوضى والاضطراب، فلا علم بدون ترتيب وتنظيم ولا ترتيب ولا تنظيم بدون منهج سليم.والعلامة المختار السوسي رزق في كل ما خطّه يراعه منهجا سليما، سدد خطاه على محجة البحث العلمي الجاد، وأخذ بيده وهو يجول في عالم مشروعه الثقافي الفسيح، فلم تتعثر خطواته، وتضطرب أفكاره، ولم يتلعثم لسانه، ولم تحر قطاته، ولم يرهق نفسه ولا قراءه.

وتتجلى الكفاءة المنهجية عند المختار السوسي حسب الاستاذ اليزيد الراضي في الأمور الآتية:

([248]) – نفسه، ص: 13

([249]) معتقل الصحراء1/201

([250]) المصدر نفسه، ص: 196، 198، 200

- **1:التصميم المحكم** المبني على رؤية واضحة أبرزت خبايا المشروع، ووقفت على مكوناته ومقاصده، وأدركت إدراكا واعيا أهدافه القريبة والبعيدة ومراميه المعلنة والمضمرة.وإذا كان كل كتاب من كتب المختار السوسي يخضع لتصميم محكم ويتناسل وفق خطة دقيقة، فإن مشروعه الثقافي الضخم بكل مكوناته ومقوماته يخضع أيضا لتصميم دقيق، جعل مكوناته تتعانق فيما بينها وتتجاوب ويكمل بعضها بعضا، فما أشبه مشروعه الثقافي بكتاب، وما أشبه مؤلفاته المختلفة بفصول وأبواب ذلك الكتاب، فقد جعل كتابه " سوس العالمة" مدخلا لكتبه الأخرى، وخصص " المعسول " للإلغيين العلماء والأدباء والصلحاء ومن إليهم من الشيوخ والتلامذة والأصدقاء، وخصص " مترعات الكؤوس " للأدب العالي، وخصص " إيليغ قديما وحديثا " لإمارة التازروالتيين أبناء الشيخ أحمد بن موسى السملالي، وخصص " رجالات العلم العربي في سوس " لعلماء هذه المنطقة الجنوبية، وخصص " مدارس سوس العتيقة " للمؤسسات التعليمية التي يرجع إليها الفضل في النهضة العلمية والأدبية والدينية التي عرفتها منطقة سوس، وخصص " خلال جزولة " للحديث عن بوادي سوس وحواضره وخزائنه العلمية وما إلى ذلك، وخصص الإلغيات للمساجلات والمذاكرات التي شهدها مسقط رأسه عندما نفي إليه، وخصص " الترياق المداوي " للحديث عن والده باعتباره زعيم طريقة صوفية كثر أتباعها وذاع صيتها داخل سوس وخارجه... وهكذا نجد أن كل كتاب من كتبه يضيء زاوية من زوايا مشروعه الثقافي، وأن كل بحث من بحوثه يسهم إسهاما واضحا في الكشف عن أمجاد سوس العلمية والأدبية والدينية والاجتماعية والسياسية.

- **2:طريقة التناول** المتسمة بالحيوية والتنوع والمطبوعة بطابع العمق والشمول، فهو عندما يتناول موضوعا يشبعه بحثا ويأتيه من كل جوانبه ويستعين في ذلك بتقنيات عديدة منها:

– تقنية الوصف المتتبع للتفاصيل والجزئيات والكاشف عن كل الملامح والقسمات، وقد وصف الأماكن والأعلام والمكتبات ومحتوياتها.

– تقنية التحليل المعتمد على الشرح والتفكيك والتركيب والمناقشة والتعليق.

– تقنية النقد الجامع بين الاحتكام إلى القواعد والأصول المقررة والاحتكام إلى الذوق الأصيل المستمد من رهافة الحس، والملكة الأدبية العالية.

– تقنية الاستطراد الذي يوسع أفق البحث، ويثري مضمونه الفكري ويجعله منجما فكريا متنوع المعادن.

– تقنية المقارنة التي تعتمد أسلوب الموازنة، وتستهدف مقابلة الأشياء بعضها ببعض، لإدراك ما بينها من فروق والوقوف على أوجه الشبه وأوجه لاختلاف بينها.

- **3:التنظيم والترتيب**: اللذين يعتبران الطابع العام لكل ما كتب، فلا نجد في مؤلفاته الفوضى الفكرية والاضطراب المعرفي، بل نجد أفكارا منسقة ومعلومات منضبطة منظمة، تتعانق فيما بينها وتتجاوب وتتكامل،

والمعلومات المنظمة بسهل فهمها واستيعابها على القراء بينما المعلومات المشوشة تشوش الفكر، وتبلبل الأذهان، والتنظيم يقي من آفتي التكرار والتناقض، اللتان تفسدان جوا التأليف، وتربكان القراء.

❖ **د – الشجاعة الأدبية**: لقد تحلى المختار السوسي بشجاعة أدبية عالية جعلته يعبر عن آرائه وتصوراته بمنتهى الصراحة والوضوح، دون شعور بأي حرج أو أي مركب نقص، ويدافع عما يعتقده صوابا دون خوف من أي انتقاد أو اعتراض. وإذا كان العرب يقولون منذ القديم: "من ألف فقد استهدف" فإن هذه القولة وما تشير إليه من ولع الناس بالاعتراض والانتقاد والإنكار، لم تفتّ في عضد محمد المختار السوسي، ولم تزرع في نفسه الخوف والحذر لأنه واثق بعلمه وواثق بأسلوبه، وواثق بمنهجه، ومقتنع بأهمية مشروعه الثقافي وفوائده الكثيرة وإيجابياته الوفيرة، ومكاسبه الثمينة، "ومن عرف ما قصد هان عليه ما وجد".ومعلوم أن انعدام الشجاعة الأدبية، عائق كبير من عوائق التأليف، وسبب واضح من أسباب التزام الصمت، والرضا من الغنيمة بالإياب، فهو الذي جنى على كثير من علماء المغرب عامة، وعلماء سوس خاصة، وأقعدهم عن التأليف، وأخرس ألسنتهم وأقلامهم عن التعبير عن أفكارهم وآرائهم، إنهم بدون شك يملكون أدوات التأليف ويستطيعون أن يفيدوا الأجيال اللاحقة بإنتاجهم العلمي والأدبي، ولكن بسبب إفراطهم في التواضع من جهة ونقصان الشجاعة الأدبية من جهة ثانية تهيبوا النقد والتعليق، فتركوا ميدان التأليف، وحرموا الأمة من بنات أفكارهم وثمرات أقلامهم.

ومن هؤلاء طائفة اقتحمت ميدان التأليف على استحياء وأنتجت وأبدعت، ولكن لتواضعها الزائد، وعدم تحليها بالقدر الطافي من الشجاعة الأدبية، احتفظت بما ألفت وأبدعت فلم تخرجه للناس ليقرؤوه وينتفعوا به، ومن هذه الطائفة من أحرق في آخر عمره ما كتب خوف أن يعثر عليه الناس بعد موته فيقرؤوه وينتقدوا ويعارضوا.وكل هذه الهواجس والأوهام، وما تجره وراءها من بواعث الانهزام النفسي والإخلاد للراحة والكسل، تخلص منها العلامة محمد المختار السوسي، فتصدى للتأليف وأتى البيوت من أبوابها الواسعة، وأخرج للناس كل ما ألف مطبوعا أو مخطوطا مؤمنا بأهمية التأليف – بالنسبة للمؤلف والقارئ معا – في تنوير الفكر وشحذ القرائح والعزائم، وصقل الأذواق وإثراء الرصيد العلمي والأدبي.

3 – الأخلاق العالية: لقد أسهمت أخلاق محمد المختار السوسي إسهاما كبيرا في إنجاح مشروعه الثقافي، وكانت وراء ما لقيته مؤلفاته المختلفة من تنويه واستحسان ذلك أن كل من قرأ مؤلفاته، يحس بأخلاقه القويمة الرفيعة، تطل من بين السطور، فيزداد حبا له ولمؤلفاته.وهذه الخلاق العالية التي ضمن بها لمؤلفاته حب الناس لها وإقبالهم عليها وشغفهم بقراءتها، واستحسانهم لما ورد فيها، يمكن أن نجمل أهم ملامحها فيما يلي:

◆ **أ:التواضع الجمّ**: الذي ترشح به كلماته وعباراته، فهو رحمه الله لا يتعالى ولا يتعالم ولا يدعي التفوق على الأقران، بل يهضم نفسه، ويتظاهر بأنه أقل الناس علما وفهما، وكثيرا ما يعلق على إطراء الناس له بقوله: "وليس ثمة إلا فضل الله" أو "الشوهاء لا ينفعها الحلي." وهذا التواضع الصادق جعله في عيون الناس أكثر ارتفاعا وأسمى مقاما، ومن تواضع لله فقد رفعه.

◆ **ب:سلامة الطوية:** وما تولد عنها من حسن النية والإخلاص في العمل، فقد كان رحمه الله سليم الطوية لا يعادي أحدا ولا يحقد عليه، ولا يسعى في مؤلفاته وراء الانتقام والتشويه والتحطيم والتنقيص، بل كان هدفه بعث التراث، وإحياء المجد العلمي والأدبي والسياسي لمنطقة سوس، فبارك الله عمله، ورتّب على أسبابه ومقدماته أحسن المسببات وأروع النتائج، فحقق في عمر قصير لا يتجاوز 63 سنة ما ينوء بالعصبة أولي القوة في زمن طويل، وصدق القائل:

سر الله في صدق الطلب ريء في اصحابه من العجب

◆ **ت:الاعتدال والانفتاح** :المتولدين عن الجمع بين التفقه في الدين والتفقه في الواقع، وقد مكنه الاعتدال من تحاشي الإفراط والتفريط في أحكامه وتعليقاته ومكنه الانفتاح من النظر إلى الحياة والأحياء من زوايا متعددة، لا من زاوية واحدة وكل ذلك جعله محبوبا عند الجميع، وجعل كتبه محل ثقة وتقدير الخاصة والعامة لأن كل من قرأها يجد فيها بغيته وتلبي رغبته ويحس بأن مؤلفها يكتب له، ويتجاوب معه، فقيها كان أو أديبا أو صوفيا أو مؤرخا أو غير هؤلاء.

وإذا كان بعض المؤلفين ممن لا خلاق لهم ينصرفون عن التأليف الهادف الجاد، إلى نشر المثالب ونهش الأعراض، فإن المختار السوسي رحمه الله لم يسر – في يوم من الأيام – في هذا الاتجاه، ولم يجعل من أهدافه فيما يكتب لمز الناس، والتماس مساوئهم وتنقيصهم وإنما مضى في مؤلفاته كلها إلى ما هو يصدده، وهو إحياء الأمجاد، ونشر المكارم والإشادة بالفضلاء، بعيدا عن أي تشويه أو تسفيه.وحافظ على أخلاقه العالية، وما ترشح به من رزانة، وهدوء، ونزاهة وموضوعية وإنصاف في كل مؤلفاته، فكان الجو الذي ساد مؤلفاته جوا أخلاقيا مريحا، لم يكهربه الانفعال والتشنج، ولم يفسده التعالي والتطاول، والقارئ يحس بذلك الجو المنعش، فيرتاح إليه، ويمضي في القراءة دون ملل ودون كلل

◆ **ث:استغلال الفرص:** من أسباب نجاح العلامة السوسي في مشروعه الثقافي استغلاله لكل الفرص السانحة، فقد كان الهاجس الذي دفعه إلى البحث عن المعلومات العلمية والأدبية والتاريخية، وامتشاق القلم لتدوينها، وهو رغبته الملحة في كشف النقاب عن وجه سوس الثقافي والحضاري الجميل، الذي حجبه الإهمال عن الأعين، وتراكم عليه غبار السنين الطويلة، فستر حسنه وبهاءه، وأصبح كثير من الناس يظنون أن سوس بلد قفر لم تنبت تربته علما ولم ينجب أبناؤه علماء ولا أدباء.

وكان المختار السوسي رحمه الله – رغبة منه في تحقيق هذا الهدف العلمي النبيل – يجد ويجتهد ويواصل عمل ليله بعمل نهاره، لطي المراحل وتذليل الصعوبات– وما أكثرها – واقتحام العقبات – وما أصعبها – وتقريب المسافات – وما أبعدها – وهو موقن بأن الفرص إنما هي ومضات سريعة، تلمع ثم تختفي، وتسنح ثم تستعصي، فمن توانى في انتهازها، وتريث في استغلالها، واغتنام خيرها، والتعرض لنفحاتها وبركاتها، يلحقه الندم حين لا ينفع الندم، ومن شمّر عن ساعد الجد، وكد وضحى، ولم يسوف ولم يؤخر عمل يومه إلى غده، واستبق إلى تقييد الأوابد،

وجمع الشوارد، حمد ما صنع، ووجد بركة مبادرته إلى الخير، وصدق عليه قولهم : "**عند الصباح يحمد القوم السرى**."

ولذلك آبى العلامة سيدي المختار السوسي على نفسه، ألا يضيع وقته وجهده، فيما تضيع فيه أوقات وجهود الكثيرين، واستغل ما وهبه الله من قدرات وإمكانيات أحسن استغلال، فكان لا يرى إلا حاملا لكتاب يقرؤه، أو زائرا لمكتبة ذات أعلاق أو حاملا للقلم والقرطاس يسجل ويدوّن، أو سائلا لأصحاب الذاكرات العلمية والأدبية والتاريخية، ينقذ العلم والعلماء، والأدب والأدباء من مخالب النسيان التي لا ترحم، واستعان في هذه المهمة الشاقة بتلاميذه وأصدقائه، وجندهم جميعا للإسهام – بشكل أو بآخر – في إنجاح هذا المشروع الضخم، فمنهم من كلفه بالنقل من المخطوطات والوثائق، ومنهم من كلفه بتحرير تراجم علماء أسرته، ومنهم من كلفه بالرقن على الآلة الكاتبة، ومنهم من كلفه بالتنظيم والتبويب والترتيب.وهكذا نجد أن العلامة السوسي أخلص لمشروعه إخلاصا منقطع النظير، فعمل كل ما بوسعه للوفاء بوعده، وكرس حياته لخدمته والنهوض بأعبائه، ووجه طاقته لتذليل صعابه، وتجاوز عقابه، واستغلاله للفرص يتجلى في أمور عديدة منها:

- ✓ أنه لا يضيع الوقت: إن زار عالما استغل زيارته للإطلا ع على خزانته وذاكرته والاستفادة من معارفه.
- ✓ وأنه يستغل تلاميذه وأصدقاءه فيشركهم في همه الثقافي ويجعلهم عناصر إيجابية في خدمة مشروعه.
- ✓ وأنه يستغل نفيه، ويحوله من نقمة إلى نعمة، ومن محنة إلى منحة، فقد أستغل نفيه إلى مسقط رأسه إلغ في جمع مواد موسوعته " المعسول " وجمع مواد مؤلفات أخرى، واستغل نفيه إلى تنجداد وأغبالو نكردوس في جمع مادة كتابه معتقل الصحراء.
- ✓ أنه يستغل جولاته ويحولها إلى ورشة بحث وتنقيب، فقد استغل جولته في ربوع جزولة – عندما سمحت له سلطات الحماية بذلك – في جمع مواد كتابه خلال جزولة بأجزائه الأربعة وكتبه الأخرى.
- ✓ أنه يستغل تواصله مع أصدقائه عن طريق الرسائل، فينقل إليهم عبر تلك الرسائل همه الثقافي، ويحملهم على التجاوب معه ومساعدته.
- ✓ وأنه يستغل منصبه السياسي، ويحوله بكيفية أو بأخرى إلى منصب ثقافي ساعده على تحقيق أحلامه، وإنجاز مشروعه، فقد استغل الوزارة المسندة إليه – سواء في إطار وزارة الأوقاف، أو في إطار وزارة التاج – لتحقيق أهدافه الثقافية، ووظف الإمكانيات المتوافرة لديه، بسبب هذا المنصب لخدمة مشروعه الثقافي.
- ✓ وأنه يستغل مكانة والده الشيخ الحاج علي الدرقاوي، ويستفيد منها على المستوى الثقافي، لقد مكنته بنوته للشيخ الدرقاوي من حب الناس له، واحترامهم له، وثقتهم به، وعلى رأس محبيه ومحترميه مريدو هذه الطريقة، فاستغل ذلك أحسن استغلال، ووجهه وجهة صحيحة، وتجاوز به الإطار الصوفي الضيف إلى الإطار الثقافي الواسع،

وكان استغلاله الإيجابي البناء لهذه الآصرة الدينية القوية، مساعدا قويا على تحقيق أهدافه العلمية، وبناء مشروعه الثقافي الطموح. ([251])

وصفوة القول بالنسبة للمحور الثاني إن الإنتاج الفكري المختار السوسي عموما والمتعلق منه بكتابة التاريخ الوطني خصوصا سيظل يفيد الباحثين في عدة تخصصات مرتبطة بالعلوم الإنسانية نظرا لأهميته العلمية المتنوعة ولا غرو في ذلك فان ما ينفع الناس يمكث في الأرض.

خاتمة استنتاجية:

وصفوة القول إن العلامة والمؤرخ والأديب والوطني سيدي محمد المختار السوسي رحمه الله شخصية وطنية وفكرية فذة في تاريخ المغرب المعاصر، وأبلى كل البلاء الحسن في خدمة المجتمع والثقافة ووطنه، وسيظل التاريخ منوها به. وإن الاهتمام الجامعي بتراثه الفكري الزاخر على صعيدي التكوين والبحث مع الاستفادة من العلوم والمناهج العلمية المعاصرة، كما هو الشأن بالنسبة لغيره من التراث الفكري لكبار العلماء والمؤرخين والأدباء المغاربة رحمهم الله يساهم بالتأكيد في الحفاظ على الهوية أمام العولمة الزاحفة علاوة على تحقيق التنمية.

والله ولي التوفيق

[251]) الأستاذ العلامة الدكتور اليزيد الراضي، مقومات نجاح العلامة محمد المختار السوسي في مشروعه الثقافي ، الاثنين، 6 يوليو، 2009، *منشور بمدونته على الرابط:* http://elyaziderradi.blogspot.com/2009/07/blog-post.html